الوعي

جامعية – فكرية – ثقافية

العددين
٤٠٠
٤٠١

السنة الرابعة والثلاثون
جمادى الأولى وجمادى الآخرة ١٤٤١ هـ – ك٢ وشباط ٢٠٢٠ م

التعارض بين نظام الحكم الديمقراطي ونظام الحكم في الإسلام

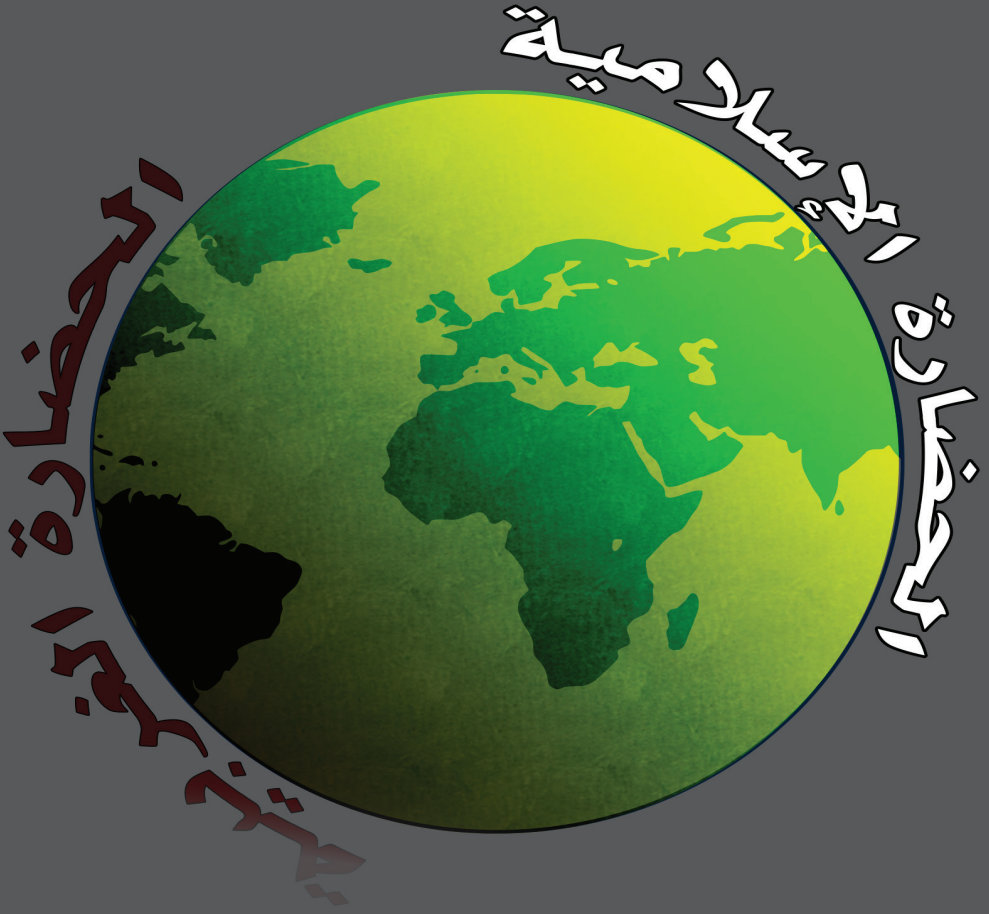

- حروب الغرب: أهدافها وكيفية مواجهتها ص٨
- حرمة الخروج على الحكام مخافة الفتنة... تضليلٌ وتحريفٌ لدين الله ص٢٠
-محمد مهذب حفاف شاب من حزب التحرير... صورة حية من صور التضحية لأجيال اليوم ص ٣٥

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

العددين
٤٠٠
٤٠١

السنة الرابعة والثلاثون
جمادى الأولى ١٤٤١ هـ
جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ
كانون الثاني ٢٠٢٠ م
شباط ٢٠٢٠ م

المحتويات

- كلمة *الوعي*:

التعارض بين نظام الحكم الديمقراطي ونظام الحكم في الإسلام ٣

- حروب الغرب: أهدافها وكيفية مواجهتها ٨
- إقامة أحزاب سياسية مبدؤها الإسلام فرض من الله تعالى على المسلمين (٢) ١٣
- حرمة الخروج على الحكام مخافة الفتنة... تضليلٌ وتحريفٌ لدين الله ٢٠
- صفات الجيش المنتصر في ضوء غزوة بدر الكبرى ٢٥
- محمد مهذب حفاف شاب من حزب التحرير... صورة حية من صور التضحية لأجيال اليوم ٣٥
- أخبار المسلمين في العالم ٤٠
- مع القرآن الكريم:

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ ٤٣

- رياض الجنة: في اليقين بالله والتوكل عليه سبحانه وتعالى ٤٧
- فبهداهم اقتده: عاصم بن ثابت ٤٨
- التايمز: على أوروبا دعم الربيع العربي ٢ قبل أن يدخل في دوامة القمع ويدفع بملايين المهاجرين ٥١

ثمن النسخة

لبنان	١٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

التعارض بين نظام الحكم الديمقراطي ونظام الحكم في الإسلام

النظام الديمقراطي يتناقض مع النظام الإسلامي في الأساس والأصول والفروع. وإذا كان هناك تشابه في بعض الفروع فهذا ليس مبررًا للخلط بينهما؛ لأن الديمقراطية كفر والإسلام إيمان. هذا وقد استمرت الدولة الإسلامية تطبق نظام الإسلام ما يزيد على ثلاثة عشر قرنًا ولم تستعمل كلمة الديمقراطية، ولم تستعمل معانيها.

ومع غياب نظام الإسلام، صار الناس يرون نظامًا ديمقراطيًا تقابله أنظمة استبدادية بوليسية مخابراتية، ومن الطبيعي أن يفضل الناس الديمقراطية على الاستبدادية البوليسية. وهذه كلها أنظمة كفر. ونحن حين نرفض الديمقراطية لا يعني أننا نختار الاستبدادية البوليسية الظالمة، بل نختار الإسلام الذي هو رحمة للعالمين من الرحمن الرحيم.

ومن الفروع التي اشتبهت على الناس كون الإسلام يقول باختيار الخليفة عن طريق الانتخاب والبيعة، والديمقراطية تقول باختيار الحاكم عن طريق الانتخاب، كذلك ممثلو الشعب يجري اختيارهم عن طريق صناديق الاقتراع في الإسلام والديمقراطية. وفي الإسلام يوجد شورى وفي الديمقراطية يوجد شورى. وفي الإسلام الأمة تحاسب الحاكم وفي الديمقراطية كذلك. مما جعل قصيري النظر يتوهّمون أن الديمقراطية من الإسلام، أو أن الإسلام ديمقراطي.

وفيما يلي إيجاز لكل من النظامين يوضح التعارض بينهما:

١- أساس النظام الديمقراطي من وضع البشر؛ فيعطي البشر صلاحية التشريع من دون الله. بينما أساس نظام الحكم في الإسلام من الوحي الإلهي. فهو يجعل التشريع من حق الخالق وحده.

٢- نظام الحكم الديمقراطي جمهوري أو ملكي. ويجوز التحول فيه من الملكي إلى الجمهوري أو العكس. بينما نظام الحكم الإسلامي خلافة. وهو نظام ليس فيه وراثة. ولا يجوز التحول من الخلافة إلى النظام الجمهوري أو الملكي.

٣- الحكم الديمقراطي يقوم على:

أ- السيادة للشعب. ب- والشعب مصدر السلطات.

وجهاز الحكم في الديمقراطية يتكون من سلطات ثلاث هي التي تسن القوانين وتنفذها، وهي: أ- السلطة التنفيذية (الوزارة). ب- السلطة التشريعية (البرلمان). ج- السلطة القضائية (القضاء)

ويساند هذه السلطات مؤسسات أخرى كالجيش والأمن العام والأمن الداخلي، وأجهزة أخرى. بينما يقوم الحكم في الإسلام على:

أ- السيادة للشرع وليست للشعب. ب- السلطان للأمة، وهي تُنيب عنها من يطبق الشرع وينفذه. أما جهاز الحكم في الإسلام فهو:

أ- الخليفة. ب- معاون التفويض. ج- معاون التنفيذ. د- أمارة الجهاد (وتشرف على شؤون: الجيش، والداخلية والخارجية والصناعة). هـ- الولاة. و- القضاء. ز- مصالح الدولة. ح- مجلس الأمة.

٤- بما أن السيادة للشعب، فالشعب هو الذي يسن القوانين، بينما في الإسلام فإن الوحي هو المصدر الوحيد للقوانين، والشعب ينتخب من يطبق عليه الشرع. ٥- في النظام الديمقراطي القضاء يكون مدنيًا. بينما في الإسلام يكون القضاء شرعيًا.

٦- في النظام الديمقراطي السياسة الخارجية تقوم على احترام الحدود الدولية والمياه الإقليمية؛ لأنها تكريس لاحترام حرية الشعوب في اختيار أنظمتها وقوانينها وحكامها. بينما في ظل نظام الحكم الإسلامي، تكون السياسة الخارجية مرتبطة بالجهاد لنشر الإسلام، فهي تحطم الحدود والحواجز المادية لتخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. ٧- النظام الديمقراطي يكرس التقسيم وتعدد الدويلات أو ما يسمى احترام الاستقلال لتلك الدويلات. بينما نظام الخلافة لايعترف بالحدود المادية، ولا بالاستقلال لبلد إسلامي عن بلد أخر، فالأمة واحدة والجيش واحد، والراية واحدة، والمالية واحدة... إلخ. ٨- الأنظمة الديمقراطية تحترم القوميات، والعرقيات، والنعرات الجاهلية وتحييها وتحافظ عليها. بينما نظام الحكم في الإسلام يذيب جميع القوميات والقبليات والأعراق ويصهرها بالإسلام. ٩- يتم اختيار الحاكم في الأنظمة الديمقراطية لمدة حكم مؤقتة من ٤ إلى ٦ سنوات. بينما يتم اختيار الخليفة مدى الحياة مادام قادرًا مستقيمًا. ١٠- في الديمقراطية يجوز التمرد على الحاكم والتظاهر ورفض طاعته وإعلان العصيان عليه. أما في الإسلام؛ فلا يجوز التمرد والعصيان إلا في حالة واحدة هي حين يأمر الخليفة بكفر بَواح.

١١- ينقسم المجتمع في ظل الديمقراطية إلى موالاة ومعارضة. بينما في الإسلام لا ينقسم المجتمع إلى قسمين، بل يقوم الشعب أو مجلس الأمة بمحاسبة الحاكم، وإن استحق العزل شرعًا تتولى محكمة المظالم عزله. فإما الطاعة لولي الأمر مع محاسبته، وإما العزل. ١٢- الديمقراطية تجيز لجميع أفراد الشعب التسابق والتنافس للوصول لمنصب الحاكم، بغض النظر عن مؤهلاته أو صفاته الشخصية أو التزامه الديني. حتى لو كان ممثلًا.

بينما يشترط الإسلام فيمن يتقدم لهذا المنصب أن يكون رجلا ًوليس امرأة، مسلمًا وليس كافرًا، بالغًا وليس صبيًا، عاقلًا وليس مجنونًا، حرًا وليس عبدًا أو مسيطرًا عليه بما يشبه العبودية، عدلًا وليس فاسقًا، وهناك شروط أفضلية كأن يكون مجتهدًا وغير ذلك.

١٣- الديمقراطية ليست الشورى، فالديمقراطية طريقة حكم لها كليات وجزئيات، وهي تسيِّر شؤون الحياة كلها حسب وجهة نظر معينة، وهي ليست نابعة من الشرع، فهي ليست حكمًا شرعيًا كالشورى. بينما الشورى في الإسلام ليست طريقة حكم لها كليات وجزئيات، وهي ليست أصلًا من أصول الحكم، بل هي مجرد أخذ الرأي، وأخذ الرأي لايكون ملزمًا في حالات، ويكون ملزمًا في حالات أخرى. والشورى حكم شرعي وليست من وضع البشر كالديمقراطية.

١٤- الديمقراطية لا تهتم بالمصدر الذي يجب أن تؤخذ منه الأفكار المتعلقة بالعقيدة، ولا الأفكار المتعلقة بالحضارة ولا الأحكام الشرعية. بينما يُلزم الإسلام معتنقيه بأن يأخذوا كل ما جاء به الرسول ﷺ كمصدر للعقيدة وللحضارة وللأحكام الشرعية، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ وقال سبحانه: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ وقال رسول الله ﷺ: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردّ»؛ لذلك يحرم أخذ أفكار الغرب أو عقيدته الرأسمالية أو حضارته ووجهة نظره.

١٥- الديمقراطية نابعة من العقيدة الرأسمالية التي تفصل الدين عن الدولة، بل تفصل الدين عن شؤون الحياة كلها، لذا هم يقولون: «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله «. بينما تقوم الدولة الإسلامية على العقيدة الإسلامية التي لا تفصل بين الدين والدولة، ولا بين الدين والحياة، بل هي توجب تسيير الحياة والدولة بأوامر الله ونواهيه، أي بالأحكام الشرعية.

١٦- في النظام الديمقراطي تسود العلمانية. بينما في نظام الحكم الإسلامي يسود الشرع.

١٧- الحياة الديمقراطية هي ابنة حضارة تقوم على النفعية البحتة، ولا تقيم وزنًا لغير القيم المادية النفعية. بينما الحضارة الإسلامية تقوم على أساس روحي هو الإيمان بالله تعالى، وجعل الحلال والحرام مقياسًا لجميع الأعمال في الحياة.

١٨- عند أهل الديمقراطية السعادة هي الحصول على أكبر قدر ممكن من المِتع الجسدية الزائلة. بينما عند المسلمين وفي الحضارة الإسلامية ينظر إلى السعادة بأنها الفوز برضوان الله تعالى.

١٩- في الديمقراطية الحكم للأكثرية، حتى ولو كانت الأكثرية على باطل. والأكثرية قد تكون:

أ- أكثرية الشعب باستفتاء عام.

ب- أكثرية النواب في التصويت على مشروع قانون.

ج- أكثرية الوزراء في وضع مشروع قانون أو تنفيذ سياسة معينة.

د- أكثرية نقابية أو جمعية.

هـ- أكثرية لمنح الثقة للوزارة أو حجبها عنها.

و- جميع قرارات المجالس النيابية والوزارية يلزمها أكثرية لتنفذ.

بينما في الإسلام الحكم للشرع، حتى ولو وقف معه الأقلية مهما صغر حجم الأقلية. وعلى الشكل الآتي:

أ- تنفيذ وتطبيق الحكم الشرعي لا يرجع فيه لرأي الأكثرية.

ب- الرأي الفني، أو رأي أهل الاختصاص والخبرة لا يلزمه أكثرية.

ج- هناك حالة واحدة يؤخذ فيها برأي الأكثرية وهي معرفة الرأي في الإقدام على عمل مباح أو عدم الإقدام عليه، مثل نزول سيدنا محمد ﷺ عند رأي الأكثرية للخروج من المدينة لملاقاة الكفار في معركة أُحُد.

٢٠- الديمقراطية تقدس الحريات.الحريات في المفهوم الغربي ليست تحرير الإنسان من الرق. فالرقيق لم يعد لهم وجود. وهي ليست التحرر من الاستعمار، بل هي التي تستعمر الشعوب، فلا يظن أحد أن الحريات الغربية هي معارضة الاستعمار، بل الحريات عندهم أربع: أوّلًا: حرية المعتقد أو العقيدة: فيحق للإنسان عندهم أن يعتقد العقيدة التي يريدها دون ضغط أو إكراه ،كما يحق له أن يترك عقيدته ودينه للتحول إلى عقيدة جديدة أو دين جديد، وفي نظرهم يحق للمسلم التحول إلى النصرانية أو اليهودية أو البوذية أو الشيوعية بمنتهى الحرية. ثانيًا: حرية الرأي: ويجوز في ظل الديمقراطية للفرد أن يحمل أي رأي أو فكر، وأن يقول أي رأي أو فكر، وأن يدعو لأي رأي أو فكر. وأن يعبر عن ذلك بأي أسلوب. وليس للدولة أو للإفراد حق منع أي إنسان من ذلك، بل إن القوانين تسن عندهم لحماية حرية الرأي، وتحمي الآراء التي تخالف الدين أو تتهجم عليه وعلى الأنبياء والرسل كما حصل مع سلمان رشدي (السيئ الذكر) وغيره ممن تناولوا الإسلام والقرآن والرسول ﷺ من أهل الغرب. ثالثًا: حرية التملك: وهي الحرية التي أفرزت النظام الرأسمالي في الاقتصاد، فأوجدت فكرة استعمار الشعوب ونهب خيراتها، وهي تبيح للإنسان أن يمتلك المال بواسطة السرقة المقنّعة، وبواسطة الربا، والاحتكار، والغش، والقمار، والغبن الفاحش، والزنا، واللواط، واستخدام جمال المرأة وأنوثتها للكسب المادي، وبواسطة صناعة الخمر وبيعها. رابعًا: الحرية الشخصية: وهي في النظام الديمقراطي حرية الانفلات من كل قيد، وحرية

التحلل من كل القيم الروحية والخلقية والإنسانية. وهذه الحرية تبيح للشاب والفتاة ممارسة أي سلوك لا أخلاقي على مرأى من الجميع، سرًا وعلانية، وحرية ممارسة الشذوذ الجنسي، وشرب الخمر، وتمرد الشاب أو الفتاة على أولياء أمورهم بحجة الحرية الشخصية. تلك الحرية التي أثمرت مرض الإيدز وغيره من الأمراض التي شاعت عندهم نتيجة هذا الانفلات. بينما يعتبر الإسلام الحريات بالمفهوم الغربي حرامًا ومخالفًا للشرع. فالحرية في المفهوم الإسلامي لا وجود لها إلا في الانعتاق من العبودية للبشر والتي هي الرِّق الذي لم يعد موجودًا؛ لذلك فحيثما ذكرت الآن فإنها لاتعني سوى الحريات الغربية. والمسلم يفخر بعبوديته لله تعالى، وهي أكرم صفة يتصف بها المسلم، ومن كمال العبودية أن يطيع العبد أوامر المعبود. وموقف الإسلام من حرياتهم هو: أوّلًا: حرية المعتقد: لايجوز للمسلم أن يتحول إلى دين أخر قال ﷺ: «من بدّل دينه فاقتلوه» سواء أكان المرتد فردًا أم جماعة.

ثانيًا: حرية الرأي: فالرأي في الإسلام مقيّد بالأحكام الشرعية وليس حرًا فهو إما:
أ- رأيٌ حرام قوله: كالغيبة، والنميمة، وقذف المحصنات، ومهاجمة الإسلام والطعن فيه.
ب- أو رأيٌ فرض قوله: مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاسبة الحكام.
ج- أو رأيٌ مباح لك فيه أن تقول خيرًا أو أن تصمت.

ثالثًا: حرية التملك: فالتملك في الإسلام مقيد بالشرع فلا يجوز للإنسان أن يتملك كما يشاء، بطريق الحلال أو بطريق الحرام. وله أن يتملك بأسباب التملك الشرعية كالعمل (بكل فروعه كالتجارة والصناعة والزراعة والخدمات)، والإرث، والهبة، والوصية.
رابعًا: الحرية الشخصية: فالإسلام حرّم الانفلات من العقال الذي يسمى الحرية الشخصية، فالشخص ليس حرًا في أن يؤذي نفسه أو ينهي حياته بالانتحار، أو أن يقترف الزنا واللواط تحت ذريعة الحرية الشخصية، أو أن يتهرب من الإنفاق على والديه العاجزين تحت ذريعة الحرية الشخصية، أو أن يخرج الفتى والفتاة مع عشيقته أو عشيقها بحجة الحرية الشخصية، والإسلام لا يجيز للشاب أن يتحرش بالفتاة في الشارع أو أن يُسمعها كلامًا منافيًا للحشمة والوقار، ولا أن يقبّل زوجته على مرأى من جمهور الناس.

بعد هذا العرض الموجز، فعن أيّ ديمقراطية بعد ذلك كله يتحدّثون؟!. وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ: إن الديمقراطية من الإسلام! بل وصل الحال ببعضهم إلى القول: إن الديمقراطية بضاعتنا التي رُدّت إلينا!. إنها جرأة على دين الله وتلبيس على الحق. وصدق الله تعالى إذ يقول في محكم تنزيله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . ■

حروب الغرب: أهدافها وكيفية مواجهتها

سليمان المهاجري - اليمن

قبل أن نجيب على هذا التساؤل، لابد أولًا من معرفة واقع الصراع اليوم بين المسلمين كأمة إسلامية كما وصفهم رب العزة بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾ وبين الغرب الكافر المستعمر كقائد للمبدأ الرأسمالي. من هذا يتبين أن الصراع الدائر اليوم هو صراع بين أمتين، أمة تحمل مبدأً ربانيًا من خالق الكون والإنسان والحياة، وبين أمة تحمل مبدأ من وضع البشر، أي إن الصراع هو بين حضارتين، الحضارة الإسلامية من جهة، والحضارة الغربية من جهة أخرى. وإذا كان الصراع بين حضارتين فحتمًا سيكون أولًا صراعًا فكريًا، وسيتطرق إلى جميع جوانب الحياة، منها السياسي، والاقتصادي و الاجتماعي... ولكل مبدأ فكرته التي يراد تطبيقها، وطريقته التي يسير عليها.

من هنا نقول ونجزم بهذا القول: إن المبدأ الرأسمالي بات على وشك الانهيار؛ وذلك لأنه فشل فشلًا ذريعًا في معالجة مشاكل البشرية، وهو لا يقوى على الصراع الفكري الحضاري مع الإسلام. وبالرغم من أن جميع الإمكانيات المادية اليوم بيد الدول الرأسمالية إلا أنها لم تستطع القضاء على الإسلام؛ لأن الإسلام اليوم لا يزال موجودًا عالميًا رغم الحرب الشرسة عليه؛ إلا أنه لايزال حيًا في قلوب الشعوب التي اعتنقته، ولا يزال يُحمل من قبل أبنائه الواعين المخلصين لإعادته مبدأً دوليًا بأقامة دولة دولة الخلافة الراشدة.

والمبدأ الرأسمالي فشل في سياسته للشعوب من خلال الدول القائمة على الاستبداد والاستعمار، وبسبب خطأ الأساس الذي قام عليه، والأفكار التي يحملها، ومفاهيمه عن الحياة، وعجزه عن إعطاء الحلول الصحيحة للمشاكل المستجدة؛ فأدرك هذا الأمر العديد من المفكرين والسياسيين من البلاد الغربية والبلاد الإسلامية، وأدركوا أن ما تعيشه البشرية اليوم من مشاكل في شتى مناحي الحياة هو بسبب تطبيق المبدأ الرأسمالي المتوحش.

نعم، لقد أدرك معتنقو هذا المبدأ والقائمون عليه في دول الغرب وخاصة أميركا كونها الدولة الأولى في العالم، وهي من تتصدر قيادة العالم بهذا المبدأ الوضعي الفاسد المتوحش، وكذلك أدرك الساسة في أوروبا أن الناس يتجهون نحو الإسلام، وأنه المبدأ الصحيح الذي قام أساسه على العقل، وهو يوافق فطرة الإنسان، وأنه وحي من خالق الإنسان. وأدرك الغرب أن الأمةَ الإسلامية باتت تعيش حالةً من الصحوة وإرادة التغيير الجذري على أساس الإسلام والسعي إلى تحكيم دينها منذ سنوات طويلة مثلما أدركها حزبُ التحرير الذي جعل استئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة قضيته الأولى، بل قضيته المصيرية.

وإدراك الغرب لهذا الأمر جعله يضع الخطط المبكرة لمنع هذه العودة وهذا التغيير، ولحرف بوصلة العاملين على التغيير. فقام بعدة أساليب لينفذها بوسائل مختلفة، منها إشعال الحروب المباشرة في البلاد الإسلامية، ومنها حروب بالوكالة كما فعلت أميركا نيابة عنها، ولتحقق من وراء هذه الحرب مصالحها والتفرد في هيمنتها على العالم وشغل المسلمين بما لا ينفعهم، ومن هذه الحروب استغلت أميركا روح الجهاد الموجودة عند المسلمين فاستغلته في أفغانستان لمصلحتها وهي ضرب الاتحاد السوفياتي لتنفرد هي في قيادة العالم، وفعلًا كان ذلك. ولما رأت أن القاعدة التي سكتت عن وجودها ابتداءً، بل وأمرتْ الدولَ العميلةَ لها كالسعودية بدعمِها، شبَّت عليها، فما أن طُرد الاتحادُ السوفياتيُّ من أفغانستان حتى توجهتْ لمحاربتِها، وقامتْ بسلسلة من التفجيرات لسفاراتِها، ومن ثَمَّ كانت تفجيرات ٢٠٠١/٩/١١م جعلت أميركا، بعد سقوطِ الاتحادِ السوفياتي وانهيارِ حضارتِه الشيوعية، الإسلام هو عدوَّها الحضاريَّ الجديد، وظهرتْ عليها بوادرُ تقسيمِ بلادِ المسلمين من جديد، وجعلِها تقومُ على حدودٍ طائفيةٍ دمويةٍ لتتحكمَ بها، ولتمنعَ من توحُّد المسلمين على دولة إسلامية واحدة.

ومن الحروب المباشرة حربُ العراق بعدما أمرت بريطانيا عميلها صدام حسين بدخول الكويت، فاستغلت أميركا هذا الأمر لتقود حربًا على العراق مع مجموعة من الدول. ويمكن القولُ إن أميركا أتت إلى المنطقة بنفسها لتستعمرَها خالصةً لها من دون المنافسين، ولتشرفَ مباشرة على تقسيمِها، ولتمنعَ عودةِ الإسلام إلى الحكم.

والملاحظ أنه كان عند حدوث أية حالة من هذه الحالات أو ثورة تنادي بالإسلام أو بالجهاد، كان المسلمون، كلُّ المسلمين، وفي كل بلادهم، يتلهفون للإسلام وللجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، ويتعاطفون معها أيَّما تعاطف؛ فتقوم مظاهراتُ التأييد، وتقدَّمُ أموالُ التبرع، ويذهبُ المتطوعون لنجدة إخوانهم هناك... وصارت آمالُ عودة الإسلام إلى معترك الحياة تكبر وتزداد مع كل حالة من هذه الحالات.

عندها وجدتْ أميركا، ومعها الغربُ الأوروبي، أن الأمرَ صار يكبرُ عليها ويصعُب، وصارت تخافُ من خروجه عن الطوق انتقلت إلى أسلوب آخر؛ فكانت سياسة التضليل والخداع، وقد استخدم هذا الأسلوب الغرب الكافر المستعمر وفي مقدمته أميركا لتضليل المسلمين عن حقيقة أهدافه وما يرمي إليه. فعندما جاء أوباما إلى الحكم، أعلن بشكلٍ رسميٍّ عن تراجعِ أميركا عن خطة سياسة التفرُّدِ في حكم العالم القائمةِ على الاحتلالات المباشرة واستعمال القوة القاسية... وعودتِها إلى اتِّباعِ سياسة الاحتواء القائمةِ على جهودِ المخابرات في زرع العملاء، وشراءِ الذِّمم، وبثِّ الفتن، وإثارةِ الاضطرابات، وتدبير الانقلابات. بمعنى آخر غيرت أميركا أسلوب حربها على الإسلام ولم تعدل عنها. ومن وسائلها وأساليبها

في هذه الخطة:

الحرب على الإرهاب .

إن الموقف العدائي من الغرب تجاه العالم الإسلامي يجب أن يكون واضحًا جليًا لكل مسلم، لا سيما العاملين في مجال التغيير في البلاد الإسلامية على أساس العقيدة الإسلامية لإقامة الخلافة الإسلامية، وهذا هو الذي يخاف منه الغربُ كلَّ الخوف؛ لذلك التقتْ دولُ العالم جميعُها بقيادة أميركا على ضرب هذا التوجهِ من غير رحمة بشتى والوسائل والأساليب. وللحيلولة دون نجاح أي تغيير شامل على أساس الإسلام لإقامة الخلافة قام الغرب بفرض ما يسمى بالحرب العالمية على الإرهاب، رغم أن مظاهر الإرهاب المفترض محاربته إنما يترعرع وينتشر بشكل ملحوظ ومؤثر ومنظم في مناطق الاحتلال وبؤر النزاع والاضطراب التي صنعها الغرب بنفسه، كما هو الحال في أفغانستان وباكستان والعراق ومصر وتونس واليمن وليبيا وسوريا ولبنان... أي في المنطقة التي تعتبر ضمن مجال المخططات الغربية ومناطق النفوذ والنزاع بين دوله؛ ما يعني أن سياسات تلك الدول ومخططاتها هي السبب الرئيس لإنتاج هذه الظواهر، بغض النظر عما إذا كان هو الذي قام بتصنيعها وتنظيمها وتمويلها وتوجيهها.

نعم، إن الإرهاب المفترض محاربته هو نتاج سياسة المبدأ الرأسمالي المادي الفاشل الذي لا يعطي الحلول الصادقة أو المعالجات الصحيحة لإشباع حاجات الإنسان، فدول الغرب هي التي قطعت آلاف الأميال لاحتلال بلاد المسلمين، وهي التي أسقطت دولة الخلافة، وهي التي مزقت بلاد المسلمين، وهي التي زرعت (إسرائيل)، وهي التي تنهب ثروات الأمة، وهي التي تفرض حُكَّامًا جلاوزة ظلمة لئام يسومونها سوء العذاب. فالغرب هو الآثم، وسياساته المتوحشة هي رمز الإرهاب الدولي الظلامي الفاحش والقبيح. أما الممارسات الشائنة لتنظيم الدولة وكل من ماثَله واتبع خطاه من قتل وخطف وتفجير وحرق وسبي وتهجير وتشريد أهوج باسم الخلافة فهو تقزيم وتشويه لتطبيق الإسلام، ويخدم سياسات الغرب أيما خدمة، إذ يستخدمها لتبرير سياساته البشعة أمام شعوبه، ليخرس كل الألسنة التي تنتقد تدخله وتسلطه على المسلمين، كما يمنحه فرصة تشريع القوانين المحلية والدولية لتجريم دعاة الخلافة وتقديمهم كشذاذ آفاق.

وأيضًا في عهد أوباما، وعندما قامت في بلاد المسلمين ثوراتٌ تطالبُ بإسقاط الأنظمة، نظرتْ أميركا، ومعها دولُ أوروبا، إليها من هذه الزاوية، زاويةِ أن الأمةَ تريدُ إسقاطَ صنائعِها من الأنظمةِ وإقامةَ الخلافة. وتعاملوا معها على هذا الأساس، تحت شعار (الحرب على الإرهاب) الذي كان معمولًا به من قبل في عهد بوش. وقد برزَ أكثرَ ما برزَ هذا الصراعُ الحضاريُّ في سوريا؛ حيث وُجد توجهٌ واضحٌ لدى المسلمين هناك لإقامة دولة إسلامية، والخلافةِ تحديدًا، وهذا هو الذي يتحسَّبُ منه الغربُ كلَّ التحسب؛ لذلك التقتْ دولُ

العالم جميعُها بقيادة أميركا، على ضرب هذا التوجهِ من غير رحمة، وبشكل إجراميٍّ حيوانيٍّ خلا من كل قيمة إنسانيةٍ أو خلقيةٍ، ومن كل منطق، فأيُّ منطقٍ هذا الذي يحكُمُ الغربَ عندما يؤيِّدُ بشار أسد قاتلَ شعبه، ويعملُ على عدم إسقاطه وبقائه في الحكم؟! وأي منهما يستحق أن نطلق عليه أنه إرهاب أهل سوريا الذين خرجوا بثورة سلمية يطالبون بتغيير النظام، أم بشار الذي باشرهم بالكيماوي والبراميل المتفجرة، ما لكم كيف تحكمون؟! وهذا لا يعني إلا مزيدًا في سقوط حضارة الغرب وإفلاسه فكريًا وحضاريًا. وفي المقابل، هل استطاع الغربُ فيما يرتكبُه من إجرامٍ بحق المسلمين ودينهم، أن يجعلَهم يستسلمون له؟ إنه لم يستطعْه من قبل، ولن يستطيعَه بعدُ، بإذن الله. فالأمةُ حيةٌ، ودينُها حي، والضربات تُقويها ولا تثنيها، وممارساتُه المفلسةُ تزيدُها إصرارًا على التغيير، وتزيده سقوطًا.

المفاوضات السياسية و سياسة الاحتواء.

وتجلَّى هذا عيانًا عندما انطلقت الثورات في الربيع العربي حيث فاجأت الجميع، وخلطت الأوراق، وفرضت على الغرب حلولًا هو لها كاره، وهدمت ما بناه في عقود طويلة، فأخذ الغرب الكافر المستعمر يدافع عن نفسه ومبدئه ومصالحه، وأخذ يتآمر على الثورات بمحاولة احتوائها؛ لحرف مسارها بعملائه وأوساطه السياسية كما حدث في تونس وفي مصر، وأحيانًا بالتدخل العسكري المشروط وسياسة الابتزاز كما حصل في ليبيا، وأحيانًا عن طريق المفاوضات وإطلاق المبادرات والمؤتمرات كما هو في اليمن وغيرها، وأحيانًا بالصمت وإعطاء الضوء الأخضر لقتلة حزب البعث في سوريا لحل الأمر حلًا عسكريًا مليئًا بالمكر والإجرام.

الحرب الغربية الإعلامية والنفسية على الإسلام

تلك الحرب التي مازالت تتوالى فيها إصدارات الكتب والمقالات وأبحاث مراكز الفكر ونشاطاتها، والتي تهدف إلى التيئيس والترويض القسري للشعوب على الشعور بالهزيمة والاعتراف بأنها هزيمة نهائية، ومن الأمثلة على ذلك:

الترويج لكتاب نهاية التاريخ والإنسان الأخير لفرنسيس فوكوياما، ومن الأدلة أيضًا على هذه المؤامرة هي الأعمال التي يُقام بها لأجلها، وهي كتب ودراسات ومؤتمرات وندوات ومقالات تتدفق بلا حصر، وتتمحور كلها حول فكرة فشل الإسلام أو الإسلاموية بحسب تعبير الناعقين بهذه الضلالة، وحول أن البديل هو العلمانية كما يزعمون، ويروج لها باحثون وكُتَّاب كثيرون في صحف وفي مراكز دراسات مشهورة كمؤسسة راند وغيرها، وفي مراكز دراسات عربية، وكذلك فضائيات مشهورة يتابعها عشرات الملايين كالجزيرة والعربية... وكلهم يقدمون برامج في ذلك وينشرون كتبًا ومقالات وأبحاثًا. ومن الجدير ذكره أن الترويج لهذه المغالطات والضلالات يجري بجدية وبشكل مكثف في معظم بل

كل بلاد المسلمين، في البلاد العربية، وفي إندونسيا وماليزيا وباكستان وتركيا وإيران.

إن كل هذه الحروب بشتى أصنافها العسكرية والفكرية والاقتصادية وغيرها، وما يتخذ لها من وسائل وأساليب خبيثة مما يقوم بها الغرب الكافر المستعمر، وفي مقدمته أميركا، وأتباعهم من الحكام المجرمين الخونة، الهدف منها إنما هو محاربة الإسلام السياسي والعاملين له بجد وإخلاص.

إن الحرب على الإسلام عالمية وشاملة ويقودها محترفون. وهذا يقتضي مواجهة شاملة يستثمر فيها كل ما يمكن من طاقات. وهذا يوجب كشف هذه الحرب للمسلمين كافة بجبهاتها وخططها.

صحيح أن الغربَ في ميزانِ الحروبِ العسكرية والمادية يكسب، أما في مجال الصراع الفكري الحضاري فإن الإسلام هو الذي يتقدمُ، والغربُ يزيدُ سقوطًا وإفلاسًا. ويخطئُ من يظنُّ أن الغربَ قد انتصر، هو فقط يؤخرُ ظهورَ الإسلام، ولن تتوقفَ حروبُه العسكريةُ ضد المسلمين حتى تُحسَمَ الحربُ الفكرية الحضاريةُ لمصلحة هذا الدين العظيم. ومن هنا فإن الغربَ عندما يهاجمُ المسلمين والإسلام إنما يهاجِمهم وهو في موقف الضعفِ والخوفِ من سقوط حضارته، وليس كما يحاولُ أن يزيفَ الحقائقَ ويصورَ نفسَه أنه المنتصر، والخطرُ، كلُّ الخطر، أن يصدقَّه المسلمون. إذًا فالحرب مفتوحةٌ بينه وبين المسلمين في مشروعِهم الإسلامي، وهو إقامة الخلافة.

وهنا لا بد من لفتِ النظرِ صراحة، إلى أن ما يقومُ به الغربُ من عملٍ دؤوبٍ وجادٍّ ومجرمٍ لمنع قيامِ الخلافةِ إنما المعنيُّ الأولُّ منه هو العاملون لإقامة الخلافة، وحزب التحرير تحديدًا باعتبارِ أنه الوحيدُ القائمُ على هذا الهدف. وفي المقابلِ، فإن على الحزبِ قيادة هذه المواجهة، وجعل الأمة تنقاد له في هذه المواجهة، فمشروعُ إقامة الخلافة هو مشروعٌ حصريٌّ للحزب، وفي هذا فضل وإكرام من الله سبحنه وتعالى. ■

إقامة أحزاب سياسية مبدؤها الإسلام فرض من الله تعالى على المسلمين (٢)

سليمان المهاجري - اليمن

في العدد السابق، تم تناول موضوع فرضية «**إقامة أحزاب سياسية مبدؤها الإسلام**»من كتاب الله، وسنكمل بالتعرف على المعنى نفسه من فعل رسول الله ﷺ كيف طبق هذه الآية مع تكتل الصحابة الكرام، ومن ثم سنُعرّض لتأسي حزب التحرير بطريقة الرسول ﷺ في عمله لإقامة الدولة الإسلامية.

إن الرسول ﷺ منذ بدء نبوته وتكليفه جاءه الأمر بإنذار الناس، قال تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ وبما أن الإنذار سيواجه بالصد والرد والرفض والاستكبار... قال بعدها سبحانه: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ أي: اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عزَّ وجلَّ، وهذا ما جرى فعلًا، فقد دعا الرسول ﷺ إلى ربه وأنذر، وحدث تفاعل مع إنذاره، صدًا وردًا ورفضًا واستكبارًا، تطلَّب معه الصبر. ثم ذكر القرآن الكريم ما حدث من صدِّ الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله، وموقفه من دعوة الرسول ﷺ فقد ذكرت الآيات: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾هذه الآيات التي تعتبر من أول ما نزل من القرآن تسجل صورة من أولى صور مواجهة الكفار لهذه الدعوة؛ حيث إنها شغلت وجهاء قريش على أعلى مستواهم (أبي جهل والوليد بن المغيرة) ومن ثَم راحت الأحداث تتتالى وآيات الله تتلى موجهة الرسول ﷺ، فسار في سبيل الله على بصيرة من الله **هو ومن اتبعه من المؤمنين**، وهذا ما أكده الله تعالى من أن الرسول ﷺ كان سيره في مكة على بصيرة الوحي، أي هو بالنسبة لنا قائم على الالتزام بالأحكام الشرعية، وليس من عنده، أي ليس أسلوبًا، وهي تشير إلى أن الدعوة **كانت تضم إلى جانب الرسول ﷺ من اتبعه من المؤمنين الذين تكتلوا معه ﷺ في سبيل الدعوة إلى الله**؛ وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾هذا وقد حدثتنا السيرة النبوية

عن أول من آمن به ﷺ(خديجة بنت خويلد، أبو بكر، وعثمان، وعلي، وزيد بن حارثة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان). **وحدثتنا السيرة كذلك أن من يؤمن به كان يعيش أجواء الدعوة الحارة ذاتها التي كان يعيشها الرسول ﷺ، وكانوا يشكلون معه حالة واحدة، واختلفت هذه الحالة بين مرحلة الدعوة الأولى وهي مرحلة التثقيف حيث كان الرسول يشكِّل تكتلًا** يتميز أفراده المؤمنون به بعمق واستنارة الإيمان، وتزكية النفوس، وتوطيد النفس على العيش بطاعة الله، والتطلع إلى نشر هذا الخير الذي هم فيه إلى الناس، والصبر على أذاهم مما قد يواجههم إذا أعلنوا به... ومرحلة الدعوة الثانية التي كان فيها الإعلان والمواجهة والصبر على الإيذاء والتكذيب والتعذيب والإشاعة... **فكان هؤلاء الصحابة يشكلون تكتل الرسول ﷺ وحزبه، فهم معه على هم واحد، وحزبهم أمر واحد، وواجههم الكفار مواجهة الرجل الواحد، وكان الكفار ينظرون إليهم نظرة واحدة: محمد والمؤمنون معه...** وقد نقلت لنا السيرة في ذلك أن الرسول ﷺ واجه ضغوطًا هائلة لجعله يميل عن دعوته ويتخلى عنها؛ ولكنه أصرَّ على عدم الحيد عما يأمره الله تعالى به قيد شعرة، فبادأ الكفار بما هم عليه من عقائد مختلفة وأفكار باطلة ومفاهيم خاطئة وعادات موروثة... فكشف زيفها وصرعها، وواجه الملأ الذين كانوا يتحكمون بالناس ويفرضون عليهم الالتزام بها؛ فقد كان ﷺ يطوف على النّاس في أول أمره في منازلهم، جهرًا امتثالًا لأمر الله تعالى:

﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ وكان يعرض عليهم دينه **ويكتل** حوله من يؤمن معه على أساس هذا الدين سرًا (في الشعاب، وفي بيوت بعضهم بعضًا وفي دار الأرقم بن أبي الأرقم)... ومكث على ذلك ثلاث سنين وهو يثقف هؤلاء المسلمين، ويبعث فيهم الروحانية بالصلاة والتلاوة، ويثير فيهم الفكر بالتأمل في آيات الله والتدبر في مخلوقاته، ويثقف عقولهم بمعاني القرآن وألفاظه، ومفاهيم الإسلام وأفكاره، ويأخذهم بالصبر على الأذى، ويروِّضهم على الطاعة والانقياد، حتى خلصوا لله العلي القدير.

وظل النبي ﷺ مستخفيًا **هو ومن آمن معه** في دار الأرقم بن أبي الأرقم حتى نزل قوله تعالى:﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ وقد بلغ عددهم منذ بعثة الرسول ﷺ حتى أمر بـإظهار أمره نيفًا وأربعين شخصًا، وقد آمنوا به ﷺ ولازموه ودأبوا على الدعوة معه. وقد نزلت آية الصدع هذه بعد أن نضج هؤلاء الصحابة في ثقافتهم، وتكونت عقليتهم عقليةً إسلامية، وأصبحت نفسيتهم نفسية إسلامية في مدّة ثلاث سـنوات، وأصبح إدراكهم لصلتهم بالله بارزة آثاره في أعمالهم، فارتاحت نفس الرسول ﷺ لذلك كثيرًا، إذ

صارت **كتلة المسلمين** قوية قادرة على مجابهة المجتمع كله فأظهرها حين أمره الله.

وكذلك نزلت هذه الآية بعد أن أصبح النّاس في مكة يحسون بالدعوة الجديدة، ويحسون بوجود مؤمنين بها، وإن كانوا لا يعرفون أين يجتمعون، ومن هم هؤلاء الذين يجتمعون من المؤمنين... ولكن بعد ما أسلم حمزة بن عبد المطلب ثمّ أسلم عمر بن الخطاب بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام فاشتد ساعد المسلمين ونزل على الرسول ﷺ آية الصدع؛ فصدع ﷺ بأمر الله، وأظهر أمر **التكتل** علنًا للناس جميعًا، وانتقل الرسول ﷺ بذلك في أصحابه من دوْر الاستخفاء إلى دوْر الإعلان، ومن دور الاتصال بمن يأنس فيهم الاستعداد لقبول الدعوة إلى دور مخاطبة النّاس جميعًا؛ فبدأ الاصطدام بين الإيمان والكفر في المجتمع، وبدأ الاحتكاك بين الأفكار الصحيحة والأفكار الفاسدة، وبدأت المرحلة الثانية وهي مرحلة التفاعل والكفاح، وبدأ الكفّار يقاومون الدعوة ويؤذون الرسول ﷺ **وأصحابه** بجميع أنواع الأذى؛ فقد كان المسلمون يهدَّدون ويؤذَوْن، فقد وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، فكانوا يصبرون على كل ذلك ابتغاء رضوان الله تعالى. فقد أحسَّ الكفار بخطورة هذه الدعوة فأجمعوا على خلافه ﷺ، وعلى عداوته ومحاربته، وقد رأَوا باديَ الرأي أن يحاربوه بالحط من شأنه وبتكذيبه فيما يزعم من نبوته، وصاروا يهاجمونه ودعوته بأسلوب تهكمي لاذع، وطال بهم اللجاج، ولكن ذلك لم يثنِه ﷺ عن دعوته، بل استمر يدعو النّاس إلى دين الله، ويذكر الأصنام ويعيبها ويطعن فيها، ويسفِّه عقول عبدتها وحلوم مقدسيها، فعظم الأمر عليهم فاستعملوا جميع الوسائل لإرجاعه عن دعوته فلم يفلحوا، وكان من أهم الوسائل التي اتخذوها لمقاومة هذه الدعوة وسائل ثلاث: التعذيب، والدعاوة الداخلية والخارجية، والمقاطعة والتجويع في الشعب. غير أنه ظل يهاجمهم، واستمر على كفاح الآراء الخاطئة، وهدم العقائد الفاسدة، وظل يجاهد في سبيل نشر الدعوة. وكان يدعو للإسلام بكل صراحة، ولا يلين، ولا يداهن، رغم ما لاقاه من قريش من صنوف الأذى... وكان أعزل لا معين له ولا نصير، ولا عدة معه ولا سلاح، فقد كان سافرًا متحديًا، يدعو لدين الله بقوة وإيمان لا يتطرق إليه أي ضعف عن احتمال تكاليف الدعوة، والقيام بالأعباء الجسام من أجلها؛ فكان لذلك كله الأثر في التغلب على الصعوبات التي كانت تضعها قريش في وجهه واستطاع الرسول ﷺ أن يصل إلى النّاس ويبلغهم، فاقبلوا على دين الله، وأخذ نور الإسلام يزداد كل يوم انتشارًا بين العرب.

بعد أن انتشرت دعوة الرسول ﷺ بمكة، زادت قريش من أذى أصحابه، وأخذت تزيد في إيذائه، حتى ضاق بهم ذرعًا. فخرج إلى

الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة ويرجو إسلامهم، لكنهم ردوه بشرٍّ جواب... واشتد الكرب عليه فرفع رأسه إلى السماء يشكو إلى الله في أشد حالة من الألم، وأعظم حال من الثقة بالله وطلب رضاه، وأخذ يدعو بهذا الدعاء «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على النّاس. يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنـزل بي غضبك، أو يحلّ علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلاّ بك**». ثمّ عاد إلى مكة في حماية المطعم بن عدي، وعرفت قريش ماذا حصل لمحمد ﷺ في الطائف، فازدادت أذًى له وأخذت تمنع النّاس من الاستماع إليه، فلم يصرفه ذلك عن الدعوة لدين الله، وجعل يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه. وهكذا أعرضت مكة عن الإسلام، وأعرض أهل الطائف عن رسول الله ﷺ، وردت القبائل دعوة الرسول ﷺ، وأعرضت القبائل التي تجيء حاجّة إلى مكة لما رأت ما صار إليه محمد ﷺ هو وأصحابه من عزلة، وما أحاطته قريش من عداوة، تجعل كل نصير له عدوًا لها وعونًا عليها... وظهر المجتمع المكي في صلابة الكفر والعناد، مما يجعل الأمل ضعيفًا فيه. ومن كل ذلك يتبين أن الرسول ﷺ سار في مكة في دورين متتاليين:

-**دور التعليم والتثقيف والإعداد الفكري والروحي**، وهو دور فهم الأفكار وتجسيدها في أشخاص وتكتلهم حولها، دور التكتل السري في الدعوة.

-**ودور نشر الدعوة والكفاح**، وهو دور نقل هذه الأفكار إلى قوة دافعة في المجتمع تدفعه لأنّ يطبقها في معترك الحياة.

وقد نجح الرسول ﷺ في كلا الدورين، فقد **أصبحت معه كتلة مؤمنة صابرة ناضجة** يستطيع بها مواجهة ما ستلاقيه من صد ورد وتكذيب وتعذيب وتشريد... ثم لما انتقل إلى الدور الثاني بالصدع بأمر الله استطاع الرسول الكريم **أن يصمد بهذه الكتلة** أمام كل هذا الذي واجهه حتى أصبحت دعوة الرسول ﷺ هي الموضوع الأول في مكة وخارجها. ونجاحه هذا دفع زعماء قريش لأن يشددوا أكثر وأكثر حتى يخنقوا هذه الدعوة تمامًا. ولما وجد الرسول ﷺ من قريش ذلك، وأيس من زعمائها وليس من ناسها، طلب النصرة من خارجها بغية الوصول بها إلى الغاية التي كانت الدعوة في مكة من أجل تحقيقها وهي إقامة دولة إسلامية، وخاصة بعد أن أمن نجاح دعوته بإيجاد **الثلة المؤمنة معه**، وبعد أن

أثرت دعوته في مكة وخارجها، وأصبح المانع لها هم الزعماء وما يمتلكون من قوة وقدرة على المنع.

وهكذا وجدنا أن الرسول ﷺ قد قام بأعمال مقصودة يطلب بها نصرة الدعوة وإقامة الدولة، وكانت نهايتها نصرة زعماء يثرب (أسعد بن زرارة، وأسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وسعد بن عبادة) وكان من نتيجة هذه النصرة أن أصبح فيها رأي عام على الإسلام لإيمان الناس بما آمن به زعماؤهم، وأصبحت القوة المادية الغالبة هي بيد هؤلاء المؤمنين؛ فتحقق له في المدينة ما لم يتحقق له في مكة، ولا في غيرها، وأقيمت الدولة على هذه الأمور التي حققها الرسول ﷺ مجتمعة، وكان هو قائدها ورئيسها، وتغير وجه الدعوة بعدها، وكذلك كان لهذه النصرة فيما بعد أثرها في توطيد أركان الدولة وحمايتها من أعدائها من اليهود والمنافقين والمشركين؛ والجدير ذكره مما يتعلق بموضوعنا أن نصرة أهل المدينة تمت عن طريق أحد كبار الصحابة ممن هو **من كتلة الرسول** ﷺ، وهو مصعب بن عمير ﷺ، وكذلك نرى سعد بن معاذ بعدما انضم **لكتلة الرسول** ﷺ كان له دوره الأكبر في إقامة الدولة بإعطائه النصرة للرسول ﷺ لإقامة الدولة الإسلامية، وكذلك كان له دوره في حمايتها فيما بعد، وفي نشرر الدعوة بالجهاد مع الرسول ﷺ، وكانت مواقفه لها عند ربه إكرام كبير، ويكفيه فخرًا ما قاله الرسول في حقه يوم موته استشهادًا: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**»، ولا ننسى موقف الصحابي أسعد بن زرارة وأسيد بن حضير وغيرهم الكثير من الصحابة الذين شكلوا كتلة الرسول ﷺ، وكانوا معه على أمر جامع.

هكذا كانت دعوة الرسول ﷺ في مكة، قام خلالها بأعمال مقصودة، **وأنشأ معه كتلة الصحابة**، رضوان الله عليهم أجمعين، وراح يشق معها طريق الدعوة حتى أقام دولة الإسلام، لتستمر الدعوة بعدها من خلالها بقيادة الراشدين فيها.

هذا ما قام به الرسول ﷺ من إقامة **تكتل الصحابة** ليقوم معه بهذا العمل العظيم، وكان فيه متقيدًا بأمر ربه، وأوامر الله هي التي كانت توجهه، وما كان يسير خطوة من عنده. **وهنا يبرز أهمية وجود تكتل شبيه بالتكتل الذي أنشأه الرسول في مكة** ليأخذ الدور نفسه الذي أخذه **التكتل الأول**؛ وليحقق الذي حققه: دولة الخلافة الراشدة الثانية لتكون على غرار دولة الخلافة الراشدة الأولى التي تركها لنا الرسول ﷺ، والتي أوصانا بالسمع والطاعة لخلفائها، عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و سلم مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوصِيكُمْ**

بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ. «رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

على هذا الأساس من التقيد المنضبط بالشرع والتأسي بطريقة الرسول ﷺ في عملية التغيير قام **تكتل «حزب التحرير»** وفي واقع يشبه واقع مكة من ناحية عدم وجود دولة للمسلمين، ليعمل على إقامتها على الطريقة نفسها التي أقامها بها الرسول ﷺ، وقسم عمله إلى دورين، أو سار في مرحلتين تمامًا كما فعل الرسول ﷺ:

- **مرحلة التثقيف والتأسيس:** تبنى فيها كل ما يلزمه من أفكار وأحكام وطريقة عمل، وجعلها عماد ثقافته، وعمل على تكوين الشخصية الإسلامية في شبابه؛ وذلك ببناء عقلياتهم ونفسياتهم بناء يجعلهم يفكرون على نفس طريقة التفكير التي كان عليها الصحابة، والتي يجب أن يكون عليها المسلمون في كل زمان ومكان، وأشرب نفوسهم بحب الالتزام بأمر الله والعمل على إرضائه والموت في سبيله، وتبنى نظام الحلقات الدراسية التي يتم فيها تزويد الشباب بثقافته التي تبناها بشكل مركز وإنضاجهم عليها، ودعا فيها من كان يأنس منه الاستعداد لحمل الدعوة بغض النظر عن سنه ومكانته ومركزه وأصله وعِرقه، **وكتلهم سرًا...** ثم لما رأى الحزب أن شبابه قد نضجوا في ثقافتهم، وتكونت عقلياتهم ونفسياتهم على طريقة الإسلام في التفكير وفي إشباع الميول، وأصبح لديهم الاستعداد لمواجهة الواقع ومجابهته... وكذلك لما رأى أن المجتمع قد أحس بوجود هذا الفكر وبوجود من يحمله انتقل الحزب إلى المرحلة الثانية، نعم، لما وجدت هذه الأمور الثلاثة سار الحزب بهذا **التكتل** نحو إعلان الدعوة. وبهذا يظهر لنا دقة التأسي بطريقة الرسول، ووجوب وجود **التكتل** وضرورته في عملية التغيير.

- **مرحلة التفاعل والجهر بالدعوة**، وذلك كما فعل الرسول ﷺ، وهي تقوم على التصدي للأفكار والمفاهيم والأنظمة السائدة والمفروضة والغريبة عن أفكار ومفاهيم وأنظمة الحياة الإسلامية، وهو قام وما زال يدعو، ويكشف ويفضح بكل صراحة وجرأة وقوة، وبدون أي حساب لأي اعتبار، إلا لسيادة المبدأ الإسلامي. وقد تناول كل ذلك من زاوية علاقة الحاكم بالمحكوم ووجوب خضوع الجميع، حاكمًا ومحكومًا، لأمر الله. وقد واجهه الحكام لأنه يكشف طغيانهم ويفضح عمالاتهم للغرب، وعملوا على الحيلولة بينه وبين الناس. ومع ذلك استمر في دعوته رغم كل المحاربة، واستطاع بفضل الله وحده أن يجعل فكرة الخلافة تطبق الآفاق، وتجعل الغرب يعيش

في هاجس الخوف والقلق من عودة فكرة الخلافة إلى مسرح الحياة. فالحزب كتبنٍّ للثقافة الإسلامية اللازمة لعمله وتحقيق غايته، وكبناءٍ لشبابه وإعدادٍ لقياداتٍ منهم، وكإيجاد رأي عام منبثق عن الوعي العام على دولة الخلافة... استطاع أن يحقق فيها نصيبًا وافرًا مطمئنًا للنجاح، ولا شك أنه سيكون مضاعفًا أضعافًا كثيرة في حال قيام دولة الخلافة، جعله الله قريبًا. وهذا النجاح يلمسه الغرب ويخاف منه كثيرًا ويعمل بإصرار على منعه، ولكن الله غالب على أمره. ولم يعد الآن يحتاج سوى إلى أن يستجيب أهل النصرة لهذه الدعوة، فيسقطون دولة من الدول العميلة القائمة بأمر الغرب، ويسلمون الحكم فيها للحزب ليقيم فيها الحكم بما أنزل الله عن طريق إقامة دولة الخلافة، لتسقط بعدها سائر أنظمة الحكم العميلة للغرب الواحدة تلو الأخرى. وهنا تظهر أهمية وجود تكتلات أو أحزاب للعمل لإقامة دولة الخلافة الإسلامية.

وبعد كل هذا العرض يتبين، شرعًا وواقعًا، أن وجود دولة إسلامية في حياة المسلمين فرض، ولا يمكن أن يطبق الإسلام كمبدأ وعقيدة إلا من خلالها. وأنه في حال عدم وجودها يجب شرعًا على المسلمين العمل على إيجادها، ويكون الجميع آثمين ولا يسقط الإثم إلا عمن يتلبس بالعمل لإقامتها، ويبقى الإثم عليهم حتى تقوم هذه الدولة. ويتبين أنه لا يمكن إيجاد دولة إسلامية من غير تكتل، وأن الواجب على هذا التكتل أن يسير بحسب طريقة العمل الشرعية التي سار عليها رسول الله ﷺ، وأن الواجب على هذا التكتل أن يهيئ رجال دعوة ورجال دولة يكونون أهلًا للحكم بما أنزل الله، وهذا الإعداد لا يمكن أن يتحقق إلا عبر ما يواجهه أفراد هذا التكتل فيخرج من صلب المعاناة هؤلاء القادة الرجال الصادقين. وأن الواجب على هذا التكتل أن يوجد رأيًا عامًا منتشرًا بين المسلمين في مختلف بلدانهم؛ إذ من دون وجود تكتل شبابه نزَّاع قبائل موزعون في بلاد العالم يدعون إلى أمر الله لا يمكن أن يوجد الوعي العام على إسلام الحكم في كل بلاد المسلمين... هذا كله يظهر وجوب قيام أحزاب أو تكتلات إسلامية ليقوم أمر الله بها.

ومن هنا يتبين أن محاولة زرع فكرة (قاتل الله الأحزاب) أو (لا أحزاب في الإسلام) أو التفسير الخاطئ لقوله تعالى ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ هي محاولة خادعة من الغرب لمنع أن تقوم للمسلمين دولة، وحتى يبقوا تحت وصايتهم. وهي ليست من الإسلام في شيء. وكل من يسير مع هذه الفكرة هو يسير مع الغرب، سواء عن علم وهذا حسابه عند ربه، أو عن غير علم وهو لا يعذر بجهله. فإلى قوله تعالى ندعو المسلمين: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

حرمة الخروج على الحكام مخافة الفتنة... تضليلٌ وتحريفٌ لدين الله

حمد طبيب - بيت المقدس

لقد ازدادت الحرب الفكرية على الإسلام، وخاصة بعد ثورات الشعوب العارمة في بلاد المسلمين، وبعد الرأي العام الكاسح على مطلب الإسلام (كمخلّص للشعوب).. وكان من أشد أنواع هذه الحرب الفكرية التضليلية؛ اتهام الإسلام بالإرهاب العالمي، وبث سموم التثبيط؛ وأن الأمة لن تقوم لها قائمة، ولا تملك مقومات الدول القادرة على الوقوف والتحدي والمضي قدمًا... وكان منها كذلك فرية حرمة الخروج على الحكام مخافة الفتنة والاقتتال بين المسلمين، والتزامًا بطاعة ولي الأمر وحرمة الخروج عليه وإن جلد ظهرك وأكل مالك... وقد حمل هذه الدعوات المضللة الكثير من علماء السلطان؛ خاصةً علماء آل سعود في الحجاز، وعلماء السيسي من الأزهر ومن قلدهم وسار خلفهم. فما حقيقة هذه الدعوة؟ وما هو حكمها في ميزان الشرع؟ وما هو واجب المسلمين تجاهها؟ وهل يجوز القعود عن واجب منابذة الحكام في هذا الزمان مخافة القتل والاقتتال؟ وهل هذه هي الفتنة التي حذر منها الحق تبارك وتعالى وأمر باجتنابها؟!

للإجابة عن هذه الأسئلة، وغيرها مما يتعلق بهذه الفرية، وهذا التضليل والتحريف لدين الله؛ سنقف عند الأمور التالية:

١ - حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل عام، وحكم أمرِ الحكام ونهيهِم بشكل خاص.

٢- حكم منابذة الحاكم بالسيف؛ إذا أظهر الكفر البواح أو الصراح. والفرق بين منابذته بسبب منكر الكفر البواح، وبين استعمال القوة المادية للتغيير، وإعادة الحكم بما أنزل الله.

٣- شبهة إلقاء النفس في التهلكة، وما هي التهلكة التي أمر الشرع باجتنابها؟

٤- شبهة إذا ترتب على المنكر منكر أكبر منه، وهل يجوز قياسه على منكرات الحكام؟

٥- شبهة تفسير حديث الرسول عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها: «**يا عائِشَةُ، لَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَديثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ، لَهَدَمْتُ الكَعْبَةَ، فألْزَقْتُها بالأرْضِ...**» إلى آخر الحديث. رواه الإمام مسلم.

أما الموضوع الأول: وهو واجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فهو غنيٌّ عن البيان، وقد نطقت به الآيات والأحاديث بشكل صريح لا تأويل فيه، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**» رواه الإمام مسلم. وهذه النصوص وغيرها تدل على واجب الأمر

بالمعروف، والنهي عن المنكر بشكل عام، وتأثم الأمة جميعًا إذا قصرت بهذا الواجب؛ إلا من تلبَّس منها بهذا الواجب وقام به.

وأما الأمر الثاني: فإن الحكام، على وجه الخصوص، خصهم الله تعالى بواجب أوسع؛ وهو قيام الأمة عليهم بشكل عام لإزالة منكرهم إذا اظهروا منكر الكفر البواح. قال عليه الصلاة والسلام؛ مجيبًا عبادة بن الصامت رضي الله عنه عندما سأله: أفلا ننابذهم بالسيف يا رسول الله؟ قال: «**لَا، إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ**» متفق عليه. فلا يجوز للأمة بشكل عام أن تسكت على حكام السوء؛ يطبقون حكم الكفر بين ظهرانيها، وإذا سكتت أدى ذلك إلى الفتن؛ ما ظهر منها وما بطن، وأدى إلى حرف الناس عن دين الله شيئًا فشيئًا إلى الكفر. قال عليه الصلاة والسلام: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّه أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يُسْتَجابُ لَكُمْ**» رواه الإمام الترمذي، والعقاب منه تسلط الحكام الكفرة بسبب السكوت عليهم... وعندما سئل ﷺ: أَيُّ الْجِهادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كَلِمَةُ حقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جائِرٍ**» رَوَاهُ الإمام النسائيُّ.

أما ما أورده البعض من علماء السلاطين بأنه لا يجوز الخروج على الأمراء، واستشهدوا على ذلك ببعض الأحاديث مثل حديث اِسمع وأطع وإن جلد ظهرك، وحديث اِسمعوا وأطيعوا ولو وُلِّي عليكم عبد حبشي، وأن طاعة ولي الأمر هي واجبة... فإن ما صح من مثل هذه الأحاديث؛ فيدل على طاعة ولي الأمر الذي وجبت له الطاعة بالبيعة الشرعية. وحدود طاعته هي فيما يرضي الله عز وجل، لا في معصيته وليس في حال الكفر البواح؛ كما هو مبين في أحاديث أخرى سنذكرها... وما أوردوه كذلك من فتوى الإمام ابن تيمية في حرمة الخروج على الأمراء حيث قال: «... إن الاستقراء دل على أنه: ما قام أحد على الأئمة إلا وحصل بفعله ذلك من الفساد ما هو أنكر وأعظم مما قام نصرةً له... وهؤلاء غالبًا يحصل بفعلهم فساد وسفك دماء وهزيمة، وإذا انتصروا فإن ذلك لا يدوم طويلًا...»؛ فإن أولي الأمر الذين لا يجوز الخروج عليهم بحد السيف - في رأي ابن تيمية - هم أولًا: من جنس الأمة، وقد بايعتهم الأمة على السمع والطاعة في غير معصية الله تعالى، فتجب طاعتهم في غير معصيته؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول في الحديث: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**» رواه مسلم. وأبو بكر رضي الله عنه يقول: «أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم...»، وقد اشترط الحق تعالى شرطين لطاعة أولي الأمر: **الأول:** أن يكونوا بالفعل أولي أمر؛ تسلّموا الأمر بطريقه الشرعي، لا جبرًا عن الأمة، **والثاني:** أن تقترن طاعتهم بطاعة الله ورسوله، لا بطاعة أميركا وكيان يهود. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ

إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾، وأما ما ذكره الإمام ابن تيمية؛ فهو متعلق بأولي الأمر الذين عاصرهم؛ من الحكام المسلمين؛ الذين ظهر منهم بعض المنكرات، وليس فيمن أظهر الكفر البواح كحكام هذا الزمان. وقد أفتى رحمه الله بقتال من تحالف مع عبَّاد الصليب في زمانه؛ لأنهم أظهروا الكفر البواح، وخانوا دينهم وأمتهم؛ كما هو حال حكام اليوم من هذا الزمان، ممن تحالف مع أميركا وكيان يهود. ولو كان ابن تيمية في زماننا لأفتى بالخروج عليهم؛ تمامًا كما أفتى بمحاربة من تحالف مع الصليبيين من ممالك مصر والشام من الفاطميين.

وقد لعن الله عز وجل بني إسرائيل بسكوتهم على المنكرات تُفعل بينهم فقال:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو فرض على الأمة بشكل عام، ولا يجوز السكوت عنه، وإذا سكتت الأمة عن ذلك أثمت جميعًا. واليوم، فإن هذا الواجب هو فرض عين على كل مسلم؛ لأن المنكرات قائمة ولم تتغير، ولم تُزَل من حياة المسلمين، ولا يسقط الإثم إلا عمن باشر بالفعل العمل لتغيير هذه المنكرات، وما زال قائمًا بهذا الواجب أو متلبسًا به.

بقي أمر أخير يتعلق بهذه النقطة؛ وهو العمل المادي؛ لتغيير أفكار المجتمع، والوصول إلى الحكم بما أنزل الله. فهذا المنكر لا يتوصل إلى تغييره بالعمل المادي، بل إن طريقة تغييره التي فرضها الإسلام هي العمل الفكري، والتفاعل مع المجتمع، وعن طريق الصراع الفكري والكفاح السياسي للوصول إلى إقناع الأمة، ورفع مستوى الرأي العام والوعي العام فيها على فكرة التغيير، على أساس الإسلام، ثم بعد ذلك استلام الحكم من مظانِّ النصرة القادرين عليها. فهذا الموضوع هو أحكام شرعية عملية، تتعلق بمنكر من المنكرات؛ وهو غياب الحكم بما أنزل الله، وطريقة تغييره هو ما ذكرنا، وليس العمل المادي. ولا يخلط هنا بين الإنكار على الحكام أو الخروج عليهم ومنابذتهم قولًا وعملًا لخلعهم، وبين العمل لاستئناف الحياة الإسلامية، والوصول للحكم بما أنزل الله... فتلك أحكام لها مناطها وأدلتها الشرعية، وذاك واقع آخر له مناطه وأحكامه أما الواقع أو المناط الذي فيه منكرات صدرت من حكام أظهروا فيها الكفر البواح أو الصراح؛ أي أباحوا علنًا به على رؤوس الأشهاد وصرحوا ولم يستحيوا لا من الله ولا من الناس، ولم يراعوا حرمة لدين الله عز وجل ولا لأموال وأعراض ودماء المسلمين... فهذا المناط يجب أن تنزل عليه أحكام الخروج على هؤلاء الحكام لإزالتهم، ولا يجوز السكوت على ذلك. وهذه من القضايا المصيرية التي يجب على الأمة أن تتخذ حيالها إجراء الحياة أو الموت، ولا يجوز السكوت عليها إطلاقًا، وخاصةً من مراكز القوى التي تقدر بالفعل أن تقوم بهذا الواجب بالقوة

المادية، فهي جزء من الأمة الإسلامية، وإذا كانت الأمة بمجموعها قادرة على استخدام القوة القادرة على إزالتهم في منطقة من المناطق، كان ذلك واجبًا عليها، ويحرم عليها السكوت عليهم مع بقائهم في الكفر البواح. فالأمر بالوجوب في الخروج والمنابذة هنا منوط بالقدرة والاستطاعة، ومن وقف من المنافقين والأتباع يشايع ويناصر هؤلاء الحكام في وقت خروج الأمة عليهم فإنه يأخذ حكم هؤلاء الحكام في المنابذة.

أما الأمر الثالث: وهو شبهة إلقاء النفس في التهلكة نتيجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن التهلكة كما فهمها الصحابي الجليل (أبو أيوب الأنصاري) هي ترك حكم الله، وليس العمل به. فقد فسر بعض الصحابة الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾؛ في حادثة أحد المسلمين الذي اقتحم صفوف العدو في فتح القسطنطينية. فأجابهم أبو أيوب رضي الله عنه فقال: «لقد نزلت فينا نحن الأنصار؛ عندما ركنَّا قليلًا إلى الزروع والثمار، وتقاعسنا عن الجهاد والإنفاق في سبيل الله...» فالتهلكة الحقيقية هي في السكوت على منكرات الحكام وعلى أحكام الكفر التي يطبقونها في بلاد المسلمين، وليس القيام في وجه هؤلاء الحكام لإزالتهم وإزالة ما طبقوا وما نشروا من شرور.

والأمر الرابع: في هذه الضلالات والتحريفات لدين الله، فهو إذا ترتب على المنكر منكر أكبر منه، فهذه الفرية قد اختلقها علماء السلطان؛ للمحافظة على عروش الظالمين، وقاسوا منكرات الحكام، على المنكرات الفردية، وقاسوا التغيير من الفرد لمنكر واحد، على تغيير الأمة لمنكرات الحكام... فهذا قياس غير صحيح. ومنكرات الأفراد لا تقاس عليها منكرات الحكام، ولا طريقة إزالتها... فكلٌ له واقعه وأحكامه ونصوصه الشرعية ودلالاته... ولم يرد في هذا الأمر نص صريح يبيح للمسلم أن يقعد عن هذا الواجب نتيجة كذا وكذا... بل إن الأحاديث مدحت سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، ورجل مثله قام على إمام جائر. وأمرت كذلك بحمل السيف في وجه من أظهر الكفر البواح. وذمت الأمة إن هي قعدت بشكل عام عن هذا الواجب. وذمت الأمة بشكل عام إن هي سكتت عن منكرات الحكام. قال عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ فَلَا تَقُولُ لِلظَّالِمِ يَا ظَالِمُ، فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ**» أخرجه الحاكم في المستدرك... أما مآلات الأفعال في هذا الموضوع؛ فلا ينظر إليها بشكل عقلي أو مصلحي؛ وإنما يشترط لها نص شرعي يدل عليها؛ لأن الواجب هو الفعل دون النظر إلى ما يترتب عليه. ومآلات الأفعال ليست من الأصول الشرعية، ولا ينظر إليها، فما ترتب على الفعل هنا لا يعلمه إلا الله عز وجل، والقتل والاقتتال إثمه على من بغى، وليس على من قام بالفرض.

وأما الأمر الأخير في هذه الضلالات والتحريفات؛ فهو تأويل حديث عائشة رضي الله عنها، وقياسه على موضوع التغيير على

الحاكم، فقد خاطب الرسول عليه الصلاة والسلام عائشة في أمر مندوب، وليس بفرض في ذلك العهد، وهو إضافة وإزالة أمور تتعلق بالبيت الحرام. وقد ترك ذلك عليه الصلاة والسلام لقرب الناس من الجاهلية، وتعظيمهم لمكانة البيت؛ فخاف الرسول عليه الصلاة والسلام - نتيجة عدم تغلغل الإيمان في قلوب البعض - أن يحدث ذلك بلبلة في الفهم فتركه الرسول عليه الصلاة والسلام. ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يترك الأصنام، وهدمُها هو فرض وليس مندوبًا ولا مباحًا. ولم يترك بعض العادات في تقديس البيت، وتقديم القرابين له، بل أمر بإزالتها وتغييرها نهائيًا.

وقبل أن نختم نخلص إلى الأمور التالية:

أولًا: إن الافتراءات على دين الله لا تتوقف، وإن أشد الناس افتراء على دين الله هم أعداؤه من الكفار، وعملاء الكفار، وأتباع العملاء من العلماء الضالين المضلين. وإن أكبر المنكرات في هذا الزمان هم الحكام المتربعون على رقاب المسلمين، والذين يحكمون بغير ما أنزل الله، ويطبقون على الناس قوانين الكفر، ويحاربون الله ورسوله وأمة الإسلام، ويساندون اليهود والنصارى في مشروع الحرب على الإسلام؛ تحت ذريعة الحرب على الإرهاب...

ثانيًا: إن عدم الخروج على الحكام والسكوت على منكراتهم يؤدي إلى الفتن، ومنها فتنة الردة عن الإسلام تحت مسميات الديمقراطية، والانفتاح، ومجاراة الواقع، والتسامح بين الكفر والإسلام، وتحرر المرأة من قيمها وأخلاقها وحيائها... وغير ذلك من برامج مقصودة في بلاد المسلمين، عدا عن الخيانات السياسية لقضايا المسلمين في فلسطين والشام والعراق خدمة لأميركا وكيان يهود...

ثالثًا: إن منكرات الحكام لا تغيَّر إلا بالخروج عليهم ومنابذتهم، ولا ينفع معهم نصح، ولا غير ذلك من وسائل، فلا يقومون من عروشهم إلا بتطبيق هذا الواجب، ولا يمكن تغييرهم بالكلام أو النصح؛ بل تزداد منكراتهم، وتستشري بين الأمة عن قصد وتخطيط. وإن هؤلاء الحكام يقفون حجر عثرة في وجه التغيير على أساس الإسلام؛ فوجب الوقوف في وجههم وخلعهم عن صدور الأمة؛ وخاصة من أولي القوة القادرين عليها، أو من الأمة إن ملكت بمجموعها القدرة والاستطاعة على إزالتهم وخلعهم...

وفي الختام نقول: بأن حركة الشعوب لا يقف في وجهها الطغاة مهما كانوا، فقد خلعت الأمة الطواغيت في بداية الثورات، وكادت أن تأتي على البقية الباقية لولا الالتفاف على الثورات وتضليلها وحرفها. وإن حركة الأمة هي دليل على حيويتها وإنكارها لمنكرات الحكام، وفي ذلك بشارة خير بأن هذه الأمة لا تريد تطبيق الكفر، ولا تريد الاستعمار؛ إنما تريد دينها وشريعتها، وسوف يكرمها الله عن قريب بإذنه تعالى بقيادة مخلصة؛ تأخذ بيدها إلى بر النجاة... نسأله تعالى أن يكون ذلك قريبًا. ■

صفات الجيش المنتصر في ضوء غزوة بدر الكبرى

عَن مُعاذِ بنِ رِفاعَةَ بنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَن أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهلِ بَدرٍ، قَالَ: «**جَاءَ جِبريلُ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ما تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُم؟ قَالَ: مِن أَفْضَلِ المُسلِمينَ أَوِ كَلِمَةً نَحوَها. قَالَ: وَكَذَلِكَ مَن شَهِدَ بَدرًا مِنَ المَلائِكَةِ**» [صحيح البخاري]. جاءت نتائج غزوة بدر الكبرى في ١٧ رمضان سنة ٢هـ كالصاعقة التي نزلت على كفار قريش، وكالزلزال الذي كان لارتداداته أكبر الأثر في تحديد بوصلة الصراع الفكري والمادي بين الحق والباطل؛ فقد قويت شوكة المسلمين ودولتهم الناشئة في المدينة المنورة وارتفع صوت الإسلام عاليًا، وزادت ثقة المسلمين بدينهم وبأنفسهم، من بعد ثلاثَ عشرة سنة من استضعاف كفار قريش لهم في مكة المكرمة. مقابل ذلك انكسرت هيبة قريش، وسقط خُيلاؤها بعد أن صُرع فلذات أكبادها فرسى أمام جيش المسلمين الذي لم يكن قد خرج بعدة مناسبة للقاء حربي، وإنما كان خروجه لاعتراض قافلة أبي سفيان القادمة من الشام. فتجلَّت إرادة الله سبحانه بأن تتحول مجريات الأمور من اعتراض للعير واغتنام تجارتها، إلى صدام عسكري ومعركة حقيقية بين المسلمين بقيادة النبي ﷺ وبين قريش بقيادة أبي جهل بن هشام، هذا مع وجود الفارق الكبير بين عديد وعدة الفريقين. ويحسن بنا أن نقف أمام صفات الجيش البدري العظيم الذي كتب الله هذا النصر على يديه بالدراسة والتحليل، ومن ثم الخروج بالأسباب التي بسببها استحق المسلمون النصر في غزوة بدر الكبرى، آخذين بعين الاعتبار حقيقتين:

الأولى: إن النصر مِنَّةٌ وفضل من الله تبارك وتعالى يمُنُّ به على عباده المستحقين لهذا النصر. فالنصر من عند الله وحده، وليس من عند المسلمين مهما بلغ عديدهم وقويت عُدتهم. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لذا يجب على المسلمين أن يؤمنوا بهذه الحقيقة، حقيقة كون النصر حصرًا وقصرًا من عند الله، وأن هذه الحقيقة من العقائد التي يجب الإيمان بها. وأما ما يبذله المسلمون من إعداد وتخطيط، فهو أمر تشريعي تكليفي مختلف. فالله سبحانه فرض على المسلمين أن يأخذوا بأسباب النصر ضمن استطاعتهم كبشر تعبُّدًا واستجابةً له

بهذه الأسباب، لا اعتمادًا عليها، أو ركونًا إليها، أو اعتبارًا لها بأنها هي التي جلبت النصر. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ . فكون النصر من عند الله وحده مسألة، وهي من العقائد. وكون أن المسلمين مكلَّفون بالأخذ بأسباب النصر طاعة لله سبحانه، وأن أخذهم بأسبابه شرط يلزم من عدم وجوده عدم وجود النصر ولا يلزم من وجوده وجود النصر ولا عدم وجوده، مسألة أخرى، وهي من الأحكام.

الثانية: إن نصر الله الذي أنزله على الجيش البدري في غزوة بدر ليس حكرًا على أهل بدر دون غيرهم من المسلمين، بل هو سنة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل. فكل جيش إسلامي تتوفر فيه صفات الجيش البدري، كان حقًا على الله أن يُنزل النصر عليه في كل زمان ومكان تمامًا كما أنزله على أهل بدر. فقد انتصر المسلمون في مواطن كثيرة، في بدر وغير بدر، ومعارك المسلمين التي تنطق بذلك أكثر من أن تُحصى. ونعرض فيما يلي أبرز سمات الجيش البدري العظيم التي كانت سببًا في استحقاق المسلمين لنصر الله تعالى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان.

الجيش البدري والدولة الإسلامية:

أقام رسول الله ﷺ الدولة الإسلامية في المدينة المنورة بعد هجرته من مكة المكرمة؛ فكانت هجرته والمسلمين معه إيذانًا ببدء فترة دعوية جديدة تعيَّنت بموجبها طبيعة الصراع بين الإسلام والكفر، من صراع فكري وسياسي كَفَّ به المسلمون أيديهم عن قتال المشركين أول الأمر في مكة المكرمة، إلى صدام عسكري دموي يُخضع الكفار كل الكفار لسيادة الإسلام وسلطان المسلمين طوعًا أو كرهًا؛ لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. فالبداية كانت بإقامة الدولة الإسلامية، والتي هي الكيان السياسي للمسلمين الذي يرعى شؤونهم بأحكام الإسلام داخليًا بتطبيقها عليهم، وخارجيًا بحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم بالجهاد. والجهاد هو الطريقة الشرعية لحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم، وهو مركز السياسة الخارجية للدولة الإسلامية، ولا يتم الجهاد إلا بالقوة العسكرية - الجيش - والدولة هي التي تُجيِّش الجيوش وتنفرها للجهاد في سبيل الله.

لذلك فإن الجيش أي جيش لا يُسمى جيشًا ولا تتوفر فيه الصفاتُ الحربية اللازمة لكل جيش إلا إذا تأسس هذا الجيش ابتداءً بقرار سياسي، قرار الدولة والخليفة، ولا يقوم هذا الجيش بوظيفته حمل الدعوة بالجهاد إلا بتنفيذ قرار الحرب والسلم الذي يصدر عن من بيده هذا القرار، وهو خليفة المسلمين. عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**أُمِرتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشهَدُوا أَن لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللَّهِ...**» [صحيح البخاري] فالرسول عليه الصلاة والسلام بوصفه الحاكم وصاحب القرار السياسي للدولة هو الذي أصدر قرار الخروج لاعتراض قافلة أبي سفيان، وهو

الذي اتخذ قرار الحرب بعد تغير المجريات من ملاحقة لقافلة إلى قتال ومواجهة عسكرية مع قريش. فالدولة هي نقطة الارتكاز التي يخرج الجيش للقتال بقرارها، فيقوم بمهمته ثم يرجع إلى قواعده فيها، ويفيء ويتحيَّز إلى فئتها إن دَهَمه عدوٌّ لا قِبلَ له به. عَنِ ابنِ عُمَرَ قالَ: «**بَعَثَنا رَسولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَحاصَ النَّاسُ حيصَةً، فَقَدِمنا المدِينَةَ فَاختَبَأْنا بِها، وقُلنا: هَلَكنا، ثُمَّ أَتَينا رَسولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلنا: يا رَسولَ اللَّه، نَحنُ الفَرَّارونَ، قال:» بَل أَنتُمُ العَكَّارونَ، وَأَنا فِئَتُكُم**» [سنن الترمذي: حديث حسن، ومعنى قوله: فحاص الناس حيصةً: يَعني أنهم فرُّوا من القتال، ومعنى قوله: بل أنتم العكَّارون: والعَكَّارُ الذي يفِرُّ إلى إمامه لينصره ليس يريد الفرارَ مِنَ الزَّحفِ]. وعلى هذا فالجيش البدري جهاز من أجهزة الدولة الإسلامية، يأتمر بأمرها وينتهي بنهيها. وليست كذلك جيوش المسلمين اليوم على كثرة عديدها، ووفرة عُدّتها. فجيوش المسلمين موجودة نعم وبالملايين، ولكن أين الإمام الجُنَّة خليفة المسلمين الذي يُحرِّكها لقتال الكفار المداهمين لبلاد المسلمين؟.

إن غياب دولة الخلافة الإسلامية أقعد جيوش المسلمين الجرارة في ثكناتها، ينتظر جنديُّها وضابطها راتبه آخر الشهر دون أن تغبرَّ قدماه ساعةً في سبيل نصرة فلسطين وأقصاها، والشام وحرائرها، والروهينجا وأطفالها... بل إن الكافر المستعمر عبر أدواته الحكام العملاء وضع هذه الجيوش في خندقه يضرب بها ويقتل أبناء المسلمين في كثير من الأحيان، في ميدان التحرير ورابعة العدوية بمصر الكنانة، وفي الشام حيث استأسد مرتزقة بشار البعثي، وميليشيا إيران وحزبها، على أهل الشام الثائرين على طغيان النظام البعثي المجرم... بعد أن لبث هؤلاء ونظائرهم من الحكام الخونة في ثكناتهم ردحًا من الزمن لم يُلوِّحوا ببندقية ولو مجرد تلويح في وجه كيان يهود المغتصب للأرض المباركة فلسطين!

القيادة الحازمة والتخطيط الدقيق:

بعد نجاة قافلة أبي سفيان، وخروج كفار قريش لنجدتها، تأكد للنبي ﷺ أن القتال بات أمرًا لا بد منه، ولكنه، عليه الصلاة والسلام، لم يخرج لقتال، ولم يتجهَّز بعدة المحارب، وإمكانية طلب المدد والعدد أضحت صعبة؛ بسبب بعد المسافة عن مقر الدولة، المدينة المنورة، وصار الموقف جِدَّ حرجٍ، أَيرجِعُ المسلمون من وجه قريش؛ فتقول العرب: فَرَّ محمدٌ ومن معه وجبُنوا عن مواجهة قريش؟ وفي ذلك كسر لهيبة المسلمين ودولتهم الناشئة، بل وتوهين لقوة الفكرة الإسلامية ذاتها في نفوس المسلمين أنفسهم، ولدى قبائل العرب المشركة التي تراقب الحدث عن بُعد تنتظر على أحر من الجمر لتعرف على من تكون الدائرة. وبالمقابل تنتفش قريش وترجع إلى قومها فيلعب فتيانها بسيوفهم وسط القَينات أمام أصنام الضلال، ويعاقرون أقداح الخمر في أنديتهم، ثم ينظُم الشعراء أشعار الفخر والظفر على المسلمين، وتتحدث جزيرة

العرب كلها، بل واليهود والمنافقون من قُدامِها، والروم والفرس من خلفها، أن محمدًا وأصحابه عادوا من حيث خرجوا بِخُفَّي حُنين لم يلووا على شيءٍ؛ ومن ثم يكون للحدث تداعيات إعلامية وخيمة ومؤثرة في الرأي العام، محليًا في المدينة المنورة حيث اليهود والمنافقون، وإقليميًا حيث القبائل العربية المنتشرة في الجزيرة العربية طولًا وعرضًا، ودوليًا حيث الروم والفرس دول العالم الكبرى المجاورة لجزيرة العرب... فما العمل: أيرجع المسلمون، أم يخوضون المعركة ويتحملون كل تداعياتها؟.

هنالك وقف رسول الله ﷺ وسط أصحابه قائلًا: «**أشيروا عَليَّ أيها الناس**» فسمع من أبي بكر وعمر والمقداد بن الأسود ما يُحب. ثم قالها ثانية: «**أشيروا عليَّ أيها الناس**». وكان يريد بكلمته هذه الأنصار الذين بايعوه يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم، وكان يتخوَّف أن لا يكون الأنصار يرون عليهم نصره إلاّ ممن دهمه بالمدينة من عدوِّه. فلما أحس الأنصار أنه يريدهم، وكان سعد بن معاذ صاحب رايته، التفت إلى رسول الله ﷺ وقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «**أجل**». قال سعد: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت، فنحن معك. فوالذي بعثك، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما تخلَّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء. لعل الله يريك منا ما تَقَرُّ به عينك، فسر بنا على بركة الله. ولم يكد سعد يتم كلامه حتى أشرق وجهه ﷺ بالمسرَّة، وقال: «**سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم**» [كتاب: الدولة الإسلامية].

بهذا الأسلوب القيادي، استطاع الرسول، عليه الصلاة والسلام، أن يرتفع بنفسية المسلمين وهمتهم عاليًا، إذْ بشرهم بالنصر قبل وقوع المعركة، هذا من جانب. ومن جانب آخر، استصدر الرسول ﷺ قرار القتال عن رضى واختيار من أفراد الجيش عبر ممثليهم من المهاجرين والأنصار، أبي بكر وعمر والمقداد وسعد بن معاذ ﷺ، ولعل ذلك أدعى للإقبال في القتال والثبات في أرض المعركة مهما بلغت شوكة العدو. ولم يبقَ بعد ذلك على النبي ﷺ إلا الوقوف على الإحداثيات اللازمة قبل بدء القتال، من معرفة لمكان العدو وعدده وعُدته، وتحديد موضع معسكر الجيش وموقع المعركة، ورسم خطة الحرب بما يتناسب مع الإحداثيات التي رصدتها المخابرات الإسلامية. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حِبَّانَ: حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنْ الْعَرَبِ، فَسَأَلَهُ عَنْ قُرَيْشٍ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ. فَقَالَ الشَّيْخُ: لَا أُخْبِرُكُمَا حَتَّى تُخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إذَا أَخْبَرْتنَا أَخْبَرْنَاكَ**». قَالَ: أَذَاكَ بِذَاكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ الشَّيْخُ:

فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي، فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَبَلَغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، لِلْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ قُرَيْشٌ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خَبَرِهِ، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**نَحْنُ مِنْ مَاءٍ**»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ... وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحُدِّثْتُ عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا: أَنَّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ، وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: «**بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ**». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ، ثُمَّ نُغَوِّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ...** «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ حُدِّثَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ، وَنُعِدُّ عِنْدَكَ رَكَائِبَكَ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ، فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ. فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ» [سيرة ابن هشام: ج: ١، ص: ٦١٦ - ٦٢١].

ثم أخذ النبي ﷺ يُنظم صفوف جيشه ويرتبها. قال محمد بْنُ إِسْحَاقَ: وحدثني حِبَّانُ بْنُ وَاسِعِ بْنِ حِبَّانَ بْنِ وَاسِعٍ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ، أن رسول الله ﷺ عَدَلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِي يَدِهِ قَدَحٌ يَعْدِلُ بِهِ الْقَوْمَ، فَمَرَّ بِسُوَادِ بْنِ غَزِيَّةَ، حَلِيفِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، وَهُوَ مُستَنتِلٌ مِنَ الصَّفِّ، فَطَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَطْنِهِ بِالْقَدَحِ، وَقَالَ: «**اسْتَوِ يَا سَوادُ بنُ غَزِيَّةَ**»...[تاريخ الطبري: ج: ٢، ص: ٤٤٦].

وَاستَعمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلى المُـــشَاةِ وَهُم فِي السَّاقَةِ: قَيسَ بنَ أَبي صَعصَعةَ عَمرو بنَ زَيدِ بنِ عَوفِ بنِ مَبذولِ، وَأَمرَهُ حِينَ فَصَلَ مِنَ السُّقيا أَن يَعُدَّ المسلِمينَ، فَوقَفَ لَهُم عِندَ بِئرِ أَبي عَنبةَ، فَعَدَّهُم ثُمَّ أَخبَرَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدَّمَ أَمَامَهُ عَينَينِ لَهُ إِلى المـُشركينَ يَأْتِيانِهِ بِخَبَرِ عَدُوِّهِ، وَهُما: بَسبَسُ بنُ عَمرو، وَعَدِيُّ بنُ أَبي الزَّغباءِ، وَهُمَا مِن جُهَينَةَ حَليفَانِ للأَنصارِ. فَانتَهَيَا إِلى مَاءِ بَدرٍ، فَعَلِما الخَبَرَ، وَرَجَعا إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. [إمتاع الأسماع: ج: ١، ص: ٨٤].

وبعد هذا الاستعراض الموجز لفن القيادة وحسن التخطيط في غزوة بدر الكبرى، نستدير قليلًا ١٨٠ درجة، نُطِلُّ على واقع المسلمين اليوم؛ حيث لا قيادة حازمة لهم، ولا تخطيط عسكريًا، ولا ما يحزنون. فحكام المسلمين رؤوسٌ في الخيانة، يُسلمون البلاد والعباد للكافر المستعمر هكذا (عَطِيَّة ما مِن وَراهَا

جَزِيَّة). فنجد كيف أعلن الهالك (حافظ أسد) عن سقوط القنيطرة بيد يهود قبل سقوطها، وكيف سَلَّح الهالك (الملك حسين) جيشه بـ (الفَلِّين والمفرقعات) ليفروا من أمام يهود مع أول قذيفة، وكيف أمر المقبور (أنور السادات) جيشه بوقف الحرب بعد نجاح الجيش المصري في اختراق خط بارليف وقناة السويس، بل وبعد وصوله إلى العريش في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م. وغير بعيد يُطل علينا الخائن أردوغان اليوم بدروعه – درع الفرات - فيُسلم مدينة حلب للنظام السوري، وأغصانه – غصن الزيتون - الممدودة لكل بائعٍ لثورة الشام في سوق النخاسة والاستسلام. وقائمة قيادات المـُلك الجبري، الهالكة والمالكة تطول وتطول، ولكن ليل الظالمين وإن طال لا بد مفضوحٌ بفجرِ العزة الصادق، عزة الإسلام والمسلمين، خلافة راشدة على منهاج النبوة.

ثقافة الجيش البدري الحربية ثقافة جهادية:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ قال الشوكاني: قَوْلُهُ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ أَيْ: حِثَّهُمْ وَحُضَّهُمْ، وَالتَّحْرِيضُ فِي اللُّغَةِ: الْمُبَالَغَةُ فِي الْحَثِّ...[فتح القدير: ج: ٢، ص: ٣٧٠] وقال صاحب الظلال: ومن ثم يأتي الأمر بتحريض المؤمنين على القتال -في سبيل الله- وقد تهيأت كل نفس، واستعدَّ كل قلب وشدَّ كل عصب، وتحفَّز كل عرق، وانسكبت في القلوب الطمأنينة والثقة واليقين... [في ظلال القرآن: ج: ٣، ص: ١٥٤٩]. وعن أَنَسِ بنِ مالِكٍ ﷺ ... فقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «**قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَاواتُ والأَرْضُ**». يَقولُ عُمَيرُ بنُ الحَمامِ الأَنصَارِيُّ: يا رَسولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّماواتُ والأَرْضُ؟ قالَ: «**نعم**». قالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «**ما يَحمِلُكَ عَلى قَولِكَ بَخٍ بَخٍ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**». فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ». [صحيح مسلم].

تدل النصوص السابقة على أن الثقافة الحربية الجهادية فرض يجب دمجه ضمن العلوم العسكرية؛ لأنه من أحكام الجهاد. والجهاد هو الطريقة الشرعية لحمل الدعوة الإسلامية إلى الأمم والشعوب الأخرى. وكان الجيش البدري سبَّاقًا في تكريس هذه الثقافة عمليًا، فكان تحريض الرسول ﷺ للمسلمين على القتال قُبيل المعركة، فدعاهم إلى الصبر والثبات أمام الأعداء، وعظَّم لهم أجر الجهاد، وأجر الشهادة في سبيل الله؛ فأقبل المسلمون على عدوهم والجنة تلوح أمامهم، واصطفُّوا للموت كأنهم في صلاة، تهون في عيونهم الشدائد والصعاب، محتسبين كل ما يمكن أن يلاقيهم بلا ضجرٍ ولا جزع ابتغاء مرضاة الله سبحانه. لقد كان للثقافة الحربية أكبر الأثر في نفسية المقاتل المسلم في غزوة بدر الكبرى، ألا ترى كيف رمى عمير بن الحمام ﷺ تمراته،

واندفع وسط المشركين يضرب هامهم حتى لقي الله شهيدًا؟ ألا ترى كيف انقض مُعَوِّذ بنُ عفراءَ ومعاذُ بنُ عمرو بنِ الجموحِ على صِغَرِ سِنِّهما على أبي جهل، فضرباه وأسقطاه عن فرسه بالرغم من إحاطة بني مخزوم له كأنهم الغابة، ولسان حالهما، رضوان الله عليهما، يقول: وَاللَّهِ لا يُغادِرُ سَوادُنا سَوادَهُ حتى يَموتَ الأَعجَلُ مِنَّا؟.

على النقيض من ذلك تمامًا، لم تكن ثقافة الجيوش العربية التي هُزمت أمام كيان يهود سنة ١٩٦٧م ثقافةً حربيةً جهاديةً تستند إلى السياسة الحربية في الإسلام. وإنما كانت ثقافةً وطنية أو قومية تستند إلى سياسة حربية انهزامية تُهوِّل قوة العدو بدل تَوهينِها والتقليل من شأنها؛ مما جعل الجندي العربي يخرج لملاقاة عدوه بنفسية مُهتزة لم تَقوَ على الوقوف أمام جيش يهود أيامًا معدودات في مسرحية شهد التاريخ عليها بالعار المُسربل بتسليم الأرض المباركة فلسطين! واليوم تتصدر ثقافة الحرب على الإرهاب/ الإسلام الثقافة الحربية لجيوش المسلمين؛ مما جعل بأس المسلمين بينهم شديد، يحطم بعضهم بعضًا في حروب ضارية أخذت فلذات الأكباد بدلًا من وقوفهم صفًّا واحدًا أمام أميركا وروسيا ويهود... وهكذا تعطَّل الجهاد في سبيل الله، وتمترس الكفار في بلاد المسلمين ينتقصونها من أعماقها، فضاعت فلسطين، واحتُلت أفغانستان وتركستان الشرقية والقرم وغيرها، وبات برُّنا وبحرنا وجونا مشاعًا للكافر المستعمر يسرح ويمرح فيها وجيوش المسلمين ترقُب تحركاته فلا تصد عدوانه، بل وتسير ذليلةً خلفه تارةً في مناورات عسكرية مشتركة، وتارةً أخرى تنفذ أوامره بذبح المسلمين في اليمن وسوريا والعراق وأفغانستان!.

الجيش البدري ورابطة العقيدة:

على غرار المجتمع الإسلامي الذي تكوَّن في المدينة المنورة على أساس الإسلام ورابطة العقيدة، تكوَّن الجيش البدري هو الآخر على أساس العقيدة الإسلامية. فكانت تشكيلة الجيش تتكون من المهاجرين من أصول عدنانية، والأنصار، الأوس والخزرج، من أصول قحطانية، وذابت في هذا الجيش أعراق وطبقات شتى، عربية وحبشية ورومية، وزالت فيه الفروق الطبقية، فكان الموالي فيه كغيرهم، سواء بسواء، لا فضل لأعلاهم على أدناهم إلا بالتقوى. اجتمع هؤلاء جميعًا، رضوان الله عليهم، تحت لواء رسول الله ﷺ جاعلين قومياتهم وراء ظهورهم. وصدق الله العظيم: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

لقد نسي المهاجرون أنسابهم، ونبذ الأنصار ذكريات (يوم بُعاث)، وارتقى الموالي والعبيد من المسلمين فكانوا أسيادًا يتقدمون الصفوف الأولى في مقارعة خُيلاء قريش، وارتفعت سيوفهم جميعًا في صف واحد،

يقتلون ويأسرون أعداء الله وإن كانوا أُولي قُربى ولاءً لله ولرسوله والمؤمنين، وبراءً من الكفر والكافرين. أَخرَجَ ابنُ عَساكِر عَن ابنِ سِيرينَ: أَنَّ عَبدَ الرَّحمَنِ بنِ أَبِي بَكرٍ كَانَ يَومَ بَدرٍ مَعَ المُشرِكِينَ، فَلما أَسلَمَ قَالَ لِأَبِيهِ: لَقد أَهدَفْتَ لِي يَوْمَ بَدْرٍ، فَانصَرَفتُ عَنْكَ وَلَم أَقْتُلْكَ. فَقَالَ أَبُو بَكرٍ: لَكِنَّكَ لَو أَهدَفْتَ لِي لَم أَنصَرِفْ عَنكَ. [تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ٣٣]. وفي قولِهِ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ قال القرطبي: وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: نَزَلَتْ فِي أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، قَتَلَ أَبَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْجَرَّاحِ يَوْمَ أُحُدٍ وَقِيلَ: يَوْمَ بَدْرٍ. [تفسير القرطبي، ج: ١٧، ص: ٣٠٧]. وَكَانَ أَبُو عَزِيزِ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمٍ، أَخُو مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ فِي الْأُسَارَى. قَالَ: فَقَالَ أَبُو عَزِيزٍ: مَرَّ بِي أَخِي مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي، فَقَالَ: شُدَّ يَدَيْكَ بِهِ، فَإِنَّ أُمَّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ، لَعَلَّهَا تَفْدِيهِ مِنْكَ. [سيرة ابن هشام، ج: ١، ص: ٦٤٥]. وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ، بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ، كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقَنِي النَّاسُ، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَآوَانِي النَّاسُ، وَقَاتَلْتُمُونِي وَنَصَرَنِي النَّاسُ...**» [البداية والنهاية، ج: ٥، ص: ١٥١]. يقصد قتلى المشركين يوم بدر، وكان ذلك بعد أن ألقاهم المسلمون في القليب/البئر. لقد أوجدت رابطة العقيدة الإسلامية نسيجًا ديمغرافيًا متينًا ومتميزًا عن كل الروابط التي كانت سائدة في جزيرة العرب آنذاك، فنهض المسلمون بها نهضةً ارتفعت بهم وجعلتهم أمةً واحدةً من دون الناس، وانتصروا بها على كل قوى الكفر، صغيرها وكبيرها، حتى دانت لهم العرب والروم والفرس طوعًا أو كرهًا.

ولا أخال المسلمين اليوم يجهلون كيف أنهم مُنوا بالانكسار أمام أعدائهم الكفار، عندما تمزقت بلادهم إلى قوميات ووطنيات تُرفرف عليها راياتٍ عُمِّيةً نتنةً، نسجها لهم أعداؤهم إمعانًا في إذلالهم، وتفريقًا لوحدتهم؛ فحلت الروابط القومية والوطنية والطائفية محل رابطة العقيدة الإسلامية، واستظل المسلمون بها، وتقاسموا بالله تحتها أن يحافظوا عليها، وأن يحرسوا بها حدود أوطانهم، حدود سايكس بيكو؛ فانتشرت المخافر ترقب حركة الغادين والرائحين، وتزينت أكتاف جنود الوطن وحراسه بشارات العَلَم المزركش بألوان تنزع إلى شجرة أرز، أو غصن زيتون، أو نخلة تنبت في صحراء، أو زُرقة نهر جارٍ يروي تراب الوطن الـمُفدَّى... هنالِكَ انهزمت شعوب المسلمين شر هزيمة، وتناحر صنائع الجهل تحت راياتهم/أعلامهم لا يلوون على شيء إلا ما كان من استعراض عسكري في أعياد الاستقلال على ألحان النشيد الوطني، ثم ينفَضُّ السامر وبيت المسلمين خارِبٌ ودامِر!

صَدَقُوا اللَّهَ فَصَدَقَهُم اللَّهُ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ عَن رَسولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - اطَّلَعَ عَلى**

أَهلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعمَلوا مَا شِئتُم، فقد غَفَرتُ لَكُم» [مسند أحمد]. لقد صدق أهل بدر اللَّهَ فصدقهم اللَّهُ، صدقوه عندما أقاموا دولة الإسلام كيانًا لهم، ثم صدقوا اللَّهَ عندما نفروا بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام للقتال فكانت غزوة بدر الكبرى؛ وبسبب صدقهم مع الله واستجابتهم لأمره وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام، فقد أيَّدهم الله بجنود من عنده في هذه الغزوة العظيمة؛ فَغَشَّاهم النُّعاسَ أمنةً منه لترتاح أجساد المسلمين، فتنهض صحيحة قوية واثبة على القتال، وأنزل عليهم المطر فطهَّرهم به من الرجس والجنابة، وأنزله عليهم خفيفًا يَشُدُّ الرمال تحت أقدامهم ويماسكها، فيتحركون بخفة ونشاط، وكذلك أنزله على المشركين غزيرًا يوحِلُ الرمال تحت أقدامهم، فيُعيق حركتهم ويُبَطِّئُ نشاطهم. كما أيَّدهم بالملائكة يُثبتون المسلمين، ويُثبِّطون المشركين، وألقى سبحانه الرعب في قلوب الكافرين. قال سبحانه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، وتجلت قدرة الله بأن يرى رسوله، عليه الصلاة والسلام، المشركين في منامه قليلين:

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾. قَالَ مُجَاهِدٌ: رَآهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَنَامِهِ قَلِيلًا، فَقَصَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَثَبَّتَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ... [تفسير القرطبي، ج: ٨، ص: ٢٢]. وتجلت قدرته جل في عليائه عندما قلَّلَ المشركين في أعين المسلمين، وقلَّلَ المسلمين في أعين المشركين؛ ليقضيَ أمره بدفع المشركين إلى مصارعهم، ويُحفِّزَ المسلمين للإقدام واثقين بنصر الله تعالى:

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: لَقَدْ قَلَّلُوا فِي أَعْيُنِنَا حَتَّى قُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِي: أَتَرَاهُمْ سَبْعِينَ؟ قَالَ: أَرَاهُمْ مِائَةً، فَأَسَرْنَا رَجُلًا فَقُلْنَا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: أَلْفًا. قَالَ السُّدِّيُّ: قَالَ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ الْعِيرَ قَدِ انْصَرَفَتْ فَارْجِعُوا، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: الْآنَ إِذْ بَرَزَ لَكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ؟ فَلَا تَرْجِعُوا حَتَّى تَسْتَأْصِلُوهُمْ، إِنَّمَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَكَلَةُ جَزُورٍ. [تفسير البغوي، ج: ٢، ص: ٢٩٨]. وجاء عند ابن الأثير: وَكَانَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ رَأَتْ قَبْلَ قُدُومِ ضَمْضَمٍ مَكَّةَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ رُؤْيَا أَفْزَعَتْهَا، فَقَصَّتْهَا عَلَى أَخِيهَا الْعَبَّاسِ وَاسْتَكْتَمَتْهُ خَبَرَهَا، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَاكِبًا عَلَى بَعِيرٍ لَهُ حَتَّى وَقَفَ بِالْأَبْطَحِ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَنِ انْفِرُوا يَا آلَ غُدَرَ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ! قَالَتْ: فَأَرَى النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَمَثَلَ بَعِيرَهُ عَلَى الْكَعْبَةِ، ثُمَّ صَرَخَ مِثْلَهَا، ثُمَّ مَثَلَ بَعِيرَهُ عَلَى رَأْسِ أَبِي قُبَيْسٍ فَصَرَخَ مِثْلَهَا،

ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً عَظِيمَةً وَأَرْسَلَهَا، فَلَمَّا كَانَتْ بِأَسْفَلِ الْوَادِي ارْفَضَّتْ، فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَّا دَخَلَهُ فِلْقَةٌ... وَلَمَّا كَانَتْ قُرَيْشٌ بِالْجُحْفَةِ رَأَى جُهَيْمُ بْنُ الصَّلْتِ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ رُؤْيَا فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ رَجُلًا أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ وَمَعَهُ بَعِيرٌ لَهُ، فَقَالَ: قُتِلَ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأَبُو جَهْلٍ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ - وَرَأَيْتُهُ ضَرَبَ لَبَّةَ بَعِيرِهِ ثُمَّ أَرْسَلَهُ فِي الْعَسْكَرِ، فَمَا بَقِيَ خِبَاءٌ إِلَّا أَصَابَهُ مِنْ دَمِهِ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَهَذَا أَيْضًا نَبِيٌّ مِنْ بَنِي الْمُطَّلِبِ، سَيَعْلَمُ غَدًا مَنِ الْمَقْتُولُ. [الكامل في التاريخ، ج: ٢، ص: ١٣، ١٧]. وقد كان لهاتين الرؤيتين أثرهما في نفسية كفار قريش، فخرجوا متثاقلين مترددين يفتقدون إلى الحماسة التي عند المسلمين، وشتَّان ما بين مسلم ينزل إلى أرض المعركة موقنًا بإحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة. وما بين كافر لا يدفعه للقتال إلا حقدٌ ملأ قلبه، أو غيظ تدفَّق في صدره، أو حفنة من دنانير ارتزقها كذلك سولت له نفسه.

هذه هي غزوة بدر الكبرى التي سمَّاها رب العزة سبحانه (يوم الفرقان) يتعرض المسلمون في شهر رمضان الكريم لنفحات العزة فيها، وفي كل غزوة ومعركة حدثت في هذا الشهر الفضيل، وقد مضى عليهم مائة رمضان منذ هدم الخلافة لم يتذوقوا طعم العزة وحلاوة النصر. وأنَّى لهم أن يتذوقوه وقد اعتلى سدة أمرهم حكام طواغيت ليسوا من أهل الحرب والنزال؟ حكام مردوا على موادَّاةِ الكفار، أميركا وأوروبا وروسيا ويهود... فكانوا كما قال فيهم القوي العزيز: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾. ولكن هؤلاء الحكام ليسوا قضاءً لا يُرد، فقصورهم أهون من أن تصُدَّ تيار الأمة المتحفِّز لإسقاطهم، وتخليص الأمة من غدرهم. فقد بان عوارهم، وانكشف بوارهم، وأُميط اللثام عن شرارهم. فمن كان منهم بالأمس يتدثَّر بعباءة مشايخ السلفية الوهابية، نراه اليوم يجهر بالسوء والخيانة لأميركا. ومن كان منهم يُخادع الناس بشعارت إسلامية توارى خلفها لبلوغ سدة الحكم، صار اليوم هتَّافًا بالحرب على الإرهاب في الشام والعراق. ومن كان بالأمس صيَّاحًا: الموت لأميركا، بات اليوم نبَّاحًا بالطائفية البغيضة يقتل المسلمين بسلاح حبسه عن نصرة القدس التي شكَّل فيلقًا تسمَّى باسمها (فيلق القدس) دون أن يكون لنصرة القدس منه حظ ولا نصيب. فقط هو الخليفة الإمام الجُنة منقذ المسلمين مما هم فيه من ذل وهوان، ببيعته تجتمع كلمة المسلمين في دولة واحدة، وبصيحته تنفر جيوش المسلمين خفافًا وثقالًا في سبيل الله، تقاتل يهود فتقتلهم، وتهزم أميركا فيُنفلنا الله بوارجها وقواعدها نفلًا، بل ونغزوها به في عقر دارها، ويصرخ ناشئُ الفتيان فينا: يا لثارات حلبَ والغوطة انتقامًا من روسيا وبشار وكل من سولت له نفسه أن يوقع أذًى بالمسلمين.

وَآخِرُ دعوانا أَنِ الحمدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمين. ■

محمد مهذب حفاف شاب من حزب التحرير... صورة حية من صور التضحية لأجيال اليوم

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾

حجري سعيد - اليمن

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ وقال سبحانه: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ وقال جل شأنه: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾. إن هذه الآيات الكريمات تحدثنا أن الله عز وجل سيمتحننا حتى يعلم من سيدخله الجنة لأنه صدق اللهَ، ومن سيحرمه من الجنة لأنه كذب اللهَ، والعياذ بالله. وإنما يكون التمحيص بالمواقف التي يقفها العبد المؤمن مع الحق وضد الباطل، وقد مدح المولى سبحانه من يقف مواقف الحق هذه فقال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ۝٢٣ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٢٤﴾ قال أنس بن مالك: «إن هذه الآية نزلت في عمه الذي سُمّي باسمه- وهو أنس بن النضر- فعندما لم يشهد بدرًا مع رسول الله كبر عليه ذلك، فقال إن أشهدني الله مشهدًا ليَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع، فلما كان يوم أحد وخالف الرماةُ؛ اندفع نحو المشركين وقابلهم فاستشهد، ولم يعرف من كثرة جراحه، وإنما عرفته أخته بأصابعه».

هذا وقد ذكر لنا القرآن الكريم مواقف عظيمة وقفها المؤمنون لتكون لنا عبرة ومحل تأسي، كموقف مؤمن آل فرعون في سورة غافر التي يسميها بعض العلماء بسورة المؤمن، الذي كان قد قال لآل فرعون عندما وقفوا أمام دعوة الله على لسان رسول الله موسى عليه السلام وهمُّوا بقتله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨﴾.

وكذلك قصَّ علينا القرآن عن مؤمن يس حبيب النجار وموقفه العظيم؛ حيث دعا قومه لاتباع المرسلين وعدم تكذيبهم، فوقف موقف الحق، وقال عنه تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣﴾ فهو في هذه الآيات بيَّن لقومه أن الباطل وأعوانه لا ينفعونكم ولا ينفعوني إن أرادني

الله بضر وإن شفعوا لي، ولن ينقذوني. ولكن القوم رفضوا وقاموا بقتل العبد الصالح الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾. وقد كان لهذا الرجل وقفات، فقد قيل عن طريقة قتله أنه قتل رجمًا، وقيل إنهم وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه. وحكى ابن إسحاق عن بعض أصحابه، عن ابن مسعود قال: وطئوه بأرجلهم حتى أخرجوا قصبته من دبره؛ وهذا إن كان يشير فإنما يشير إلى أن حامل الدعوة الحق قد يكون في قتله أذًى كبيرًا له؛ ولكن فيه إكرام له كبير من الله؛ حيث ذكر الله تعالى قوله بعد مماته: ﴿ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ فقد تمنى أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله له، وما هو عليه. أما قومه فقد كانت عاقبة أمرهم خسرًا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩ ﴾.

هذه الصور من الابتلاء الذي يصيب حملة الدعوة، تتكرر في كل زمان ومكان طالما أن هناك دعوة حقة ولها أهلها الذين لا تطيب نفوسهم إلا أن يقفوا الموقف الذي يشعرهم برضى الله عليهم، هي كانت قبل الرسول ﷺ ممن ذكرهم القرآن في الأقوام السابقة، وكانت في حياة الرسول ﷺ مع صحابته الكرام، وهي تتجدد بعده في صور لا تقل روعة ولا صدقًا عن سابقاتها، ونحن هنا لنا، في صورة التضحية والشهادة التي جسدها الشهيد محمد مهذب حفاف في عصرنا الحاضر، وهو أحد شباب حزب التحرير في ليبيا مع طاغية تلك البلاد وفرعونها القذافي، أروع صورة.

ولد الشهيد في قرية القواسم بغريان عام١٩٤٧م، والتحق بكلية الهندسة، قسم الهندسة الميكانيكية، بالجامعة الليبية بطرابلس. وهناك، وبعد أن تعرف على أغلب أطياف التيار الإسلامي انضم إلى حزب التحرير. وكان على علاقة طيبة مع جميع التيارات الفكرية والسياسية، كما كان على علاقة طيبة مع جميع القيادات الإسلامية داخل وخارج السجن.

وفي خضم الصراع الفكري وتزاحم الساحات بمختلف الأفكار، اصطدم الشهيد مع الرائد «بشير هوادي» والرائد «عمر المحيشي» عضوي مجلس قيادة الثورة، في الندوة التي عُرفت بـ «ندوة الفكر الثوري» التي عُقدت في مايو ١٩٧٠م، كما اصطدم أيضًا بمعمر القذافي. وكانت وجهة نظره في تلك الحوارات أكثر عمقًا وموضوعية مما طرحه معمر القذافي ومما طرحه عضوي مجلس قيادة الثورة، بل كانت وجهة نظره تنمُّ على ذكاء وبعد نظر وفهم دقيق للساحة السياسية في ليبيا والعالم الإسلامي؛ ليبدأ الحقد والحسد يدبَّان إلى النفوس ضد الشهيد منذ تلك اللحظات.

وجراء نشاطه الدائب الذي لا يهدأ، وأسلوبه الطيب المؤثر، وخوفًا من انتشار ذكره وفكره، اعتقل الشهيد في إبريل/نيسان ١٩٧٣م، وهو في السنة النهائية (أي السنة الخامسة)، عقب الهذرمة التي عُرفت بـ «خطاب زوارة» والذي تمخض عنها موجة الاعتقالات التي طالت المثقفين والسياسيين والمتعلمين بصفة عامة،

وتمخَّض عنها أيضًا الإنجاز الثقافي النادر الذي سُمي بـ «الثورة الثقافية» والتي تجسَّدت في منع ومصادرة الكتب والمكتبات وإحراقها، ومنع الفكر والتفكير والإبداع، بالإضافة إلى إعلان الأحكام العرفية ونشر حالة من الفوضوية التي باتت تعيشها ليبيا آنذاك.

اعتقل، واعتقل معه أخواه «أحمد» و«فرج» أيضًا. فسجن «فرج» لمدة خمس سنوات ثم توفي (رحمه الله) إثر مرض ألمَّ به، بينما أطلق سراح «أحمد» بعد أن سجن لمدة عامين ونصف تقريبًا. وتوفيت السيدة الوالدة (رحمها الله) بعد يوم واحد من إعدام ابنها «محمد»، كما توفي رب الأسرة (رحمه الله) في أواخر التسعينات، ولم يتزوج الشهيد، ولم تسلم جثته إلى أهله، ولم يعرف مكان دفنه حتى الآن، بل أنكر النظام في البداية وجود سجين بهذا الاسم أصلًا؛ حيث خاطب أهل الشهيد بقولته المعتادة: «ليس لديكم ولد في السجن»، ثم عاد النظام بعد ذلك فاعترف بجريمته ولكن دون أن يسلم الجثة إلى أهلها.

اعتقل الشهيد، كما ذكرنا، عقب ذلك الخطاب، وأودع السجن، وعُذِّب هو وزملاؤه الذين اعتقلوا معه، عذابًا شديدًا، ثم حُوِّلوا إلى غرفة الاتهام التي أطلقت سراحهم لعدم وجود تهمة أصلًا؛ لكن هذا الحكم لم يرُق لمعمر القذافي الهالك الذي شتم القضاء قائلًا: «لابد ان تُرجعوهم»، فأُعيدوا إلى السجن في نفس اليوم الذي أطلق فيه سراحهم، وحُوِّلوا إلى «محكمة الشعب» التي نظرت في القضية بعد عشرة أشهر، وحكمت على الشهيد بالسجن لمدة خمسة عشر عامًا؛ ولكن هذا الحكم لم يرضِ أيضًا غرور «السيد» الذي قال ما معناه: إن من يُدان لابد أن يقضي حياته في السجن إلى أن يموت، فتغير الحكم السابق من (١٥عامًا) إلى السجن المؤبَّد. ثم ولحكمة «لا يعلمها إلا الثوريون» تغير الحكم من «المؤبَّد» إلى «الإعدام». وسرُّ هذا التحول في الحكم تذكره مجلة «العودة» التي كانت تصدرها وحدة «الشهيد» التابعة لفرع الاتحاد العام لطلبة ليبيا، فتقول:

(... والشهيد محمد حفاف كان في إمكانه الخروج من السجن عندما عُرض عليه بيع كرامته؛ ولكنه اختار طريق الشهداء والصالحين. ولعل بعضكم يذكر ذلك الموقف الذي يسجله التاريخ للشهيد حفاف يوم أن وقف ناصبًا عوده الرقيق، في عزة وكبرياء وشموخ، عندما هدده الطاغية معمر بأنه سيبقيه في السجن مدى الحياة، فما كان من الشهيد إلا أن ردد قائلًا بقوة وصدق وإيمان: «إن ذلك في حد ذاته هو فخر وشرف لي»). وربما كان هذا الموقف الذي تحدثت عنه المجلة في الفقرة السابقة، هو السبب الذي تغيرت الأحكام بعده إلى الإعدام. وقد كرم الاتحاد العام لطلبة ليبيا الشهيد، فنظم مؤتمره الطلابي الثالث الذي انعقد في ذي القعدة ١٤٠٣هـ (أغسطس ١٩٨٣م)، تحت اسم «مؤتمر الشهيد محمد مهذب حفاف... من أجل غد أفضل».

أما طريقة إعدامه فكانت عبارة عن مشهد دموي يعكس ما كان يكنُّه ذاك النظام السادي من كره للشعب والبلاد ورسالة نبينا محمد ﷺ. ففي يوم إعدامه جاؤوا به لمقابلة القذافي قبل السابعة صباحًا في مكان معروف

في مكتب الطاغية، والتقى به وجهًا لوجه، فقال له الطاغية: ألم تتُبْ بعد؟ فرد عليه: من منا يخالف كتاب الله كي يتوب؟ فقال لهم: خذوه.

فقد أرغم النظام الليبي طلبة وأساتذة وعمال الجامعة الليبية وطلبة المدارس الثانوية والإعدادية على التجمع في ساحة كلية الهندسة بطرابلس، دون الإعلان عن المناسبة. وهناك انطلق خيال الطلبة في محاولة للتنبؤ بما ينتظرهم من مفاجآت، وأخذوا يتساءلون فيما بينهم: لماذا يا ترى هذا التجمع؟ أمن أجل تكريم أساتذة الجامعة وطلبتها؟! أم من أجل تدشين كليات ومعامل ومكتبات جديدة؟! أم لتكريم زائر من الأوساط الثقافية العالمية؟، أم تراه احتفالًا بفوز فطحل من فطاحل «الثورة» بجائزة علمية ما؟! أو ربما لمجرد المنِّ على هذا الجمع الكريم بخطاب يلقيه الأخ «القائد»، يتحدث فيه عن الإنجازات العلمية الضخمة التي حققها نظامنا الجماهيري البديع؟!... في خضم هذه التوقعات البريئة التي لم يستوعب أصحابها مكنونات أصحاب هذه الدعوة إلى التجمع، نُصبت مشنقة وسط الساحة، وتوقفت سيارة قريبًا من ساحة كلية الهندسة، أُنزل منها أحد الشباب وهو محاط بشلة من الكلاب المكلوبة، كانت تمارس عليه ما تيسر من ركل ونباح وصفع، فتراجعت، أمام هذه المفاجأة التربوية، جميع التنبؤات، وذُهل الجميع، إلا الكلاب المكلوبة، التي كانت تجر الضحية إلى المشنقة، بمتعة وحماس وإخلاص لسيدها الهالك الذي أذن الله بقتله شرَّ قِتلة. ثم قامت نفس الشلة، بشنق الشاب «محمد مهذب حفاف» أمام ذلك الحشد العلمي العظيم. ليس ذلك فحسب، بل أخذ أحد فقهاء الثورة الثقافية الخضراء، يتأرجح بجثة الضحية وهو يصيح قائلًا: «هذا عميل. هذا عميل".

وفي نفس اليوم ٧ أبريل/نيسان ١٩٨٣م، تم شنق أربعة مدرسين من أرض فلسطين المباركة، وهم (نمر خالد خميس، وناصر محمد سريس، وعلي أحمد عوض الله، وبديع حسن بدر) في ساحات المدارس التي كانوا يدرسون بها في مدينة أجدابيا، وعلى مرأى من تلاميذ هؤلاء المدرسين.

لقد كان الشهيد، وبشهادة الجميع، رجلًا صالحًا، طيب المعشر، دمث الأخلاق، ملتزمًا بكتاب الله وسنة نبينا الكريم، وملتزمًا بقيم الإسلام فكرًا وعقيدة وأخلاقًا، وكان كريمًا عفيفًا نشيطًا، وكان يلقي المحاضرات وينظم الحلقات والندوات، ويساهم في جوانب ثقافية واجتماعية وفكرية عديدة. وكان بجانب كل هذه الصفات الحميدة، متفوقًا في دراسته. لقد كان الشاب «محمد مهذب حفاف»، وبكل اختصار أمة في حد ذاته.

أعدم شهيدنا بعد عشر سنوات من الترهيب والاعتقال والترغيب، من أجل أن يتخلى عن مبادئه، لكن إيمان وعزم وإرادة الشهيد فاقت توقعات الطغاة وتصوراتهم، فلم يثنِ العذاب، ولم تثنِ الإغراءات والتهديدات من عزم «محمد»، ولم تحيِّدْه عن مبدئه قيد أنملة، فضرب بذلك مثلًا رائعًا في الثبات على القيم والمبادئ التي آمن بها وعاش من أجلها، ودفع حياته ثمنًا لها.

نعم، إن الامتحان قائم، وقد شرطه الله

تعالى لدخول الجنة حتى يميز الخبيث من الطيب: من الذي يكون مع الحق، ومن هم أهل الحق، ومن الذي يجاهد في سبيل الله ويصبر على الحق، ومن الذي يكون من أهل الباطل ويقف معهم، ومن لا يجاهد في سبيل الله، ولا يسعى لإرضاء الله.

ونحن نجد اليوم أن الناس أصناف، صنف يبحث عن الحق ليكون من أهله ويقف معهم وفي صفهم، والشهيد محمد مهذب حفاف من هؤلاء، وصنف يقف مع كل ناعق ولو كان باطلًا يناصب الحق العداء، وصنف غريب وهم الكثرة، لا تهتم بالحق ولا بالباطل، بل تريد أن تعيش بأي كيفية حتى لو كان الله عز وجل لا يرضى عنها، بل ويأمر بإزالتها وإقامة الحق مكانها، وصنف آخر يعرف الحق ويعرف الباطل ولا يخالط الباطل ولا يقف معه؛ ولكنه لا يقف موقفًا يرضي الله سبحانه وتعالى...

انتقل محمد مهذب حفاف للقاء ربه وقد واجه الظلمة وقال الحق ومات في سبيل الله، وبعد حوالى ٢٨ سنة هلك القاتل المجرم معمر القذافي وقُتل بذلة جعلت من مصيره عبرة للحكام الطغاة، قُتل بعدما حكم بالكفر البواح، وبلغ غيُّه واستهتاره بأحكام الإسلام الآفاق؛ ليلقى الله بسوء أعماله، فشتان ما بين الشخصين... إن في ذلك لعبرة لأولي النُهى.

إننا نجد أن الصنف الأول من هذه الأصناف هم الناجون وهم الفائزون في هذا الابتلاء والتمحيص، وهم الذين يبحثون عن الحق ابتداءً فيعرفونه، ثم يلتزمون به ويقفون معه ويدعون إليه ويعملون مع العاملين له، ولا يتبعون أهواءهم بل يلتزمون كل ما يرضي الله سبحانه في ذلك... أما الصنف الآخر الهالك الخاسر الذين وقفوا موقف المحايد، فهؤلاء قد جهلوا طبيعة الصراع، وجهلوا سبب وجودهم في الحياة، فهؤلاء سترفع صحفهم السوداء إلى ربهم وسيسأل الواحد منهم: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا الحق، فيقولَ: يَا رَبِّ إِنِّي خَشِيتُ النَّاسَ. قَالَ: إِيَّايَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَى**» هؤلاء بيَّن لهم الرسول ﷺ الموقف الذي يجب أن يقفوه بقوله: «**أَلاَ وَإِنَّ رَحَا الإِيمَانِ دَائِرَةٌ، فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ يَدُورُ، أَلاَ وَإِنَّ السُّلْطَانَ وَالْكِتَابَ سَيَفْتَرِقَانِ، أَلاَ فَلاَ تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلاَ إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ، وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ قَالُوا: كَيْفَ نَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عيسى بن مريم، حُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ، وَنُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللهِ خَيرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**». فهذا الحديث يلزم الأمة الوقوف مع الحق واجتناب الباطل ولو بذلت فيه الأرواح ثباتًا على الحق. أما الصنف الأخير، الذين يقفون مع الحاكم الفاجر الظالم الفاسق... ويفتي له ويصدقه ويعذره وينصره على حملة الدعوة فأولئك شركاء هذا الحاكم في كل لون من ألوان العذاب يوم القيامة، وهؤلاء باعوا دينهم بدنيا الحكام... فبئس البيع، وبئس المصير.

مثل هذه المواقف التي وقفها محمد مهذب حفَّاف هي التي ترضي الله سبحانه... نسأل الله تعالى أن نكون على دربهم، ونسأله سبحانه أن يهدينا لأرشد أمرنا، وأن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

(إسرائيل) تجتذب الشباب العرب عبر التواصل الاجتماعي

نشرت صحيفة "واشنطن بوست" تقريرًا لمراسلتها في (إسرائيل) روث إغلاش، تحدثت فيه عن محاولات (إسرائيل) تطوير علاقات مع الدول العربية التي لا تربطها بها علاقة دبلوماسية رسمية من خلال استخدام ما أسمته "الدبلوماسية الرقمية" ويشير التقرير الذي ترجمته "عربي٢١" إلى أن ليندا مينوحين كونها مشرفة على صفحات "فيسبوك" ومنصات التواصل الاجتماعي التابعة لوزارة الخارجية تحولت إلى سفيرة من نوع ما؛ هدفها هو إظهار "القيم المشتركة التي نشترك بها والتشابه بيننا" وتنقل الصحيفة قول مينوحين: "وفي النهاية فأنت لا تنظر للحصاد الذي تحصده لكن البذور التي تزرعها وآمل أن تنمو". وتنقل الكاتبة عن وزير الخارجية إسرائيل كاتز، قوله: "هذه هي طريقة أخرى للتواصل مع العالمين العربي والإسلامي" وتورد الصحيفة نقلًا عن مدير مركز موشيه دايان للدراسات الشرق أوسطية والأفريقية في جامعة تل أبيب عوزي رابي قوله إن ما نراه هو "مرحلة انتقالية" ويضيف رابي أن ٦٠٪ من سكان العالم العربي هم تحت سن الثلاثين عامًا، ويرغبون بالتعرف على العالم الخارجي... اليوم يعرف الناس أن إسرائيل ليست هي المشكلة". تقول إغلاش إن الكثير من أشرطة الفيديو لا تتطرق إلى النزاع الفلسطيني (الإسرائيلي)، وتحاول تقديم مظاهر الحياة والثقافة (الإسرائيلية). ويفيد التقرير بأن مينوحين تعمل في وزارة الخارجية مع فريق من ١٠ يقدمون محتويات لصفحتين باللغة العربية على "فيسبوك" و"تويتر" و"إنستغرام" وقنوات على "يوتيوب"، مشيرًا إلى أن لدى الحسابات ما مجموعه ١٠ ملايين مشاهد ومتابع أسبوعيًا من مختلف الدول العربية.

الوعي: هذا أسلوب ماكر من أساليب (إسرائيل) التي تريد بناء سلام مع الشعوب الإسلامية بعد أن استعصى عليها الأمر، ويجب الحذر مما تقدمه بعدم فتح صفحاتها حتى لا يسجل أنهم من القراء والمتابعين والمشاهدين

واشنطن بوست: في عام ٢٠١٩ تغيير مدروس وليست ثورات

نشرت صحيفة "واشنطن بوست" مقالًا للمعلق جاكسون ديهيل، ترجمته"عربي٢١"، ويبدأ فيه بالقول: "نقترب من نهاية العام ٢٠١٩ الذي شهد احتجاجات جماهيرية في مناطق عدة حول العالم، وقد أطيح بحكام بقوا في السلطة لمدة طويلة في السودان والجزائر... وأجبر رئيس الوزراء في لبنان والعراق على الاستقالة، ويرى ديهيل أن "ما يميز عام ٢٠١٩ هو الطريقة التي حاولت فيها الحكومات الديمقراطية والديكتاتورية، وتلك الواقعة بين الوصفين، إخضاع المحتجين من

خلال المفاوضات والتنازلات ووعود الإصلاح، وهو ما يؤشر إلى تعلم القادة شيئًا من ساحة تيانامين ووحشية الأسد: فهي لا تريد أن تصبح مرادفًا للوحشية، وربما حمت هذه الدروس بعض الأنظمة من السقوط، وفتحت الباب أمام إمكانية تحول سياسي من خلال أحداث عام ٢٠١٩". ويذكر ديهيل أن الحكومة في تشيلي، بعدما قامت فيها احتجاجات معيشية أعلنت في الأسبوع الماضي عن رزمة نفقات بـ٥,٥ مليارات دولار تهدف لخلق ١٠٠ ألف وظيفة، وأعلنت عن دعم شهري لـ١,٣ مليون عائلة، وحد أدنى من الأجور، وبرامج تأمين صحي جديدة، مشيرًا إلى أن أفضل شيء هو موافقة الحكومة مع المعارضة على عقد استفتاء في نيسان/ أبريل المقبل، بشأن الدستور الذي كتب في عهد الديكتاتور أوغستو بينوشيه. ويفيد الكاتب بأن النتيجة قد تكون تغيرات واسعة في التعليم والبرامج الاجتماعية، التي كانت سبب سخط السكان في تشيلي ولسنين طويلة. ويقول ديهيل إنه "من غير المعلوم بالتأكيد إن كانت التنازلات والبرامج ذاتها ستطبق في العراق ولبنان؛ لكنها محتملة بسبب استمرار التظاهرات. وينوه الكاتب إلى أن "عددًا من الساسة في العراق يدفعون باتجاه انتخابات جديدة، ودعوة للإصلاح الدستوري في كل من العراق ولبنان، وكما يشير تاريخ البلدين فليس من المتوقع حدوث تغيير في وقت قريب، ومن المهم انتقال الاحتجاج من الشوارع إلى البرلمان". ويختم ديهيل مقاله بالقول: "إنها ليست ثورة، لكنه تغيير مدروس".

الوعي: هذا المقال يتعلق بثورات حدثت في دول العالم وليست في منطقة المسلمين فقط، وهذا يشيرُ إلى فشل الحضارة الرأسمالية السائدة في العالم اليوم التي أفرزت أحوالًا معيشية ضاغطة، أما الثورات التي في مناطق المسلمين فيجب لفت النظر إلى أنها أبعد من ثورات لقمة عيش... إنها ثورات تتعلق باستعادة هوية الأمة المغيبة وتبني قضاياها المتعلقة بكونها أمة إسلامية تريد العيش في دولة إسلامية واحدة تؤمن لها كفايتها على كل الصعد، والتي سيكون تحسين الحياة المعيشية نتيجة لها، ويتحقق من خلالها، لا من خلال تطبيق النظام الرأسمالي عليها، والذي يعتبر مسببًا لها.

الهند تعادي المسلمين من أجل إقامة دولة هندوسية

في رسالة بعثت بها الحكومة الهندية للمسلمين في الهند مفادها: "لم يعد مرحبا بكم" أجاز البرلمان الهندي قانونًا يستثني بشكل قطعي المهاجرين واللاجئين المسلمين الذين يعيشون في الهند من الحصول على حق المواطنة. وبموجب قانون المواطنة المعدل، ستكون المواطنة في هذه الهند الجديدة قائمة على الانتماء الديني. إصدار هذا القانون يكشف عن خطة لتحقيق حلم طالما راود القائمين عليه بإقامة ما يسمى دولة ديمقراطية هندوسية. ويشار إلى أن القانون إنما صمم لتحقيق غاية مختلفة تمامًا: ألا وهو تكريس وضع المسلمين كمواطنين من الدرجة الثانية في الهند، وهو يعني تجنيس الهندوسيين القادمين من بنغلاديش، الأمر الذي سينجر عنه إحداث تبدل في الهوية الثقافية للدولة. وسيضع الهند بشكل حاسم على الطريق نحو إقامة

الدولة الهندوسية. وهنا يذكر أن هناك شراكة أبرمها مودي رئيس وزراء الهند مع الاحتلال (الإسرائيلي) منذ عام ٢٠١٤م، وتعتبر العلاقة بينهما في أوجها، حتى غدت الهند أكبر مشتر للأسلحة (الإسرائيلية) كما يتم استحضار الوسائل والأدوات (الإسرائيلية) وتكرارها في قضايا الأمن وتبرير التوحش، وفي تكريس احتلال كشمير، والحديث عن مستوطنات لا يسكنها إلا الهندوس على نمط المستوطنات التي لا يقطنها سوى يهود داخل الضفة الغربية. ولذلك فإن القانون المعدل للمواطنة هذا الذي يقوم على أساس الانتماء الديني ما هو سوى صدى لقانون العودة (الإسرائيلي) الذي يسمح لليهود من مختلف أنحاء العالم بالحصول على المواطنة (الإسرائيلية) وتقوم الهند الآن بتشييد دولة هندوسية.

الوعي: اللافت للنظر أنه يظهر أن هناك اتفاقًا مشؤومًا في تلك المنطقة ضد الإسلام والمسلمين يكشف عن رؤية واحدة من الصين (الإيغور) إلى الهند (قانون المواطنة المعدل وكشمير) إلى بورما (الروهينغا)... إن بصمة ترامب ووزير خارجيته بومبيو المعادي للإسلام، وأصابع اليهود ببعثهم القلق لدى هذه الدول وتخويفهم من الإسلام والمسلمين (إسلاموفوبيا) ليست بعيدة عن هذا الإجرام... على كل نقول: لولا أن الأمة الإسلامية أمة حية لما اجتمع المكر العالمي الأسود عليهم بهذا الشكل.

ترامب يعفو عن ضابط عسكري رغم تورطه بجرائم حرب مشينة بالعراق

وصف جنود من قوات البحرية الأميركية، قائد الفصيلة الذي عفا عنه الرئيس الأميركي دونالد ترامب رغم تورطه في جرائم حرب بالعراق، بعبارات قاتمة، وقالوا إنه عبارة عن شرير ومختل عقلياً ورجل ينشر السموم. وقال المشغل الخاص درجة أولى، كوري سكوت لصحيفة "نيويورك تايمز" إن قائد العمليات المتهم، إدوارد غالاغر، كان يريد قتل أي شئ متحرك. وفي مقابلات الفيديو التي تم تسريبها، وصف عناصر فريق "سيل ٧" غالاغر وهو يقوم باستهداف طفل لا يزيد عمره عن ١٢ عاماً ، كما تم وصفه وهو يقوم بطعن أسير مصاب بجروح قاتلة بسكين صيد. وقد تم تبرئة غالاغر في نهاية المطاف من قبل هيئة محلفين عسكرية في يوليو/تموز من تهم القتل، ولكن تم تخفيض رتبته بعد إدانته بالتقاط صورة لأسير من تنظيم الدولة، ومع ذلك، فقد تجنب في النهاية كل العقوبة بعد تدخل الرئيس ترامب في نوفمبر، واستعاد رتبته. وقال محامي غالاغر لنيويورك تايمز إن مقابلات الفيديو كانت مليئة بالتناقضات والأكاذيب، التي خلقت "خريطة طريق واضحة للبراءة". وذكرت الصحيفة أنه في المقابلات المصورة مع المحققين" "قال الجنود إنهم رأوا غالاغر يواصل طعن أسير مخدر دون سبب، وظهر بعد ذلك وكأنه يحتفل". وأكد أحد الجنود أن ما فعله غالاغر كان أكثر شئ مشين شاهده في حياته".

الوعي: هذه هي عدالة أعور الدجَّال أميركا؛ فلا عجب.

قال الله تعالى

﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ ﴾

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه عطاء بن خليل أبو الرشته أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

بعد أن بيَّن الله سبحانه أجر المنفقين حلالًا طيبًا في سبيل الله، بيَّن في هذه الآيات مصير أولئك المنفقين حرامًا وعصيانًا لله سبحانه ولرسوله صلوات الله وسلامه عليه.

وذكر الله سبحانه في هذه الآيات (الربا) وبيَّن عظم جريمته وسوء صنيع أهله والعقاب الشديد والعذاب الأليم على هذه المعصية الشنيعة والمنكر العظيم:

١. فقد ضرب الله مثلًا للذي يأكل الربا كمن يتخبط من الصرع، يقف ويقع فيضطرب في مشيته ووقوفه وجلوسه، فالجنون قد أخذ منه كل مأخذ؛ وذلك لأنه يعتبر الربا كالبيع، والله قد حرم الربا وأحل البيع.

ثم يعفو الله سبحانه عما مضى من ربا الجاهلية، ويبين للمؤمنين أن عليهم بعد نزول تحريم الربا أن يلتزموا ويطيعوا الله ورسوله ﷺ، ومن تعامل بالربا بعد نزول التحريم مستحلًا لما حرمه الله فقد استحق العذاب الأليم، وكان من أصحاب النار خالدًا مخلدًا فيها.

﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ أي يأخذونه، ويعمّ كل انتفاع به. وقد استعملت ﴿ يَأۡكُلُونَ ﴾ في القرآن الكريم للدلالة على الذم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ ١٠ ﴾ ﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ ﴾ وهي هنا كذلك.

﴿ لَا يَقُومُونَ ﴾ أي يوم القيامة.

﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي أنهم يبعثون من قبورهم، يقومون كما يقوم

المتخبط المصروع في الدنيا - أي المجنون - وذلك خزي لهم يومئذ، وهي قرينة على النهي الجازم عن الربا والذي تكرر تأكيد تحريمه في هذه الآيات.

﴿ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ أي الجنون، يقال: مُسّ الرجل فهو ممسوس إذا جن. والخبط هو الضرب على غير استواء كخبط العشواء.

وقد وردت روايات في تفسير ﴿ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ والراجح منها أن الإنسان حين يصاب بالجنون يصبح للشيطان تأثير أكبر عليه من خلال وسوساته، فيخيل إليه أمور كثيرة تؤدي بالمجنون للتخبط.

أما القول بأن الشيطان هو الذي يصرعه أو يؤدي به إلى الجنون فالآية لا تنطق بهذا، فالله سبحانه لم يقل (يتخبطه الشيطان بالمس) أي يصيبه الشيطان بالجنون وإنما الآية ﴿ يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ أي يتخبطه الشيطان بسبب جنونه، أي أن الجنون سابق لتخبط الشيطان.

كذلك فإن القول بأن ﴿ يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ من باب الكناية والمجاز حسب أساليب العرب في إطلاقهم على المصروع أن الجن قد مسته أي أصابته بالجنون - فهم قد اشتقوا الجنون من الجن - فإن ذلك مرجوح لأنه لا يعمد للكناية والمجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة، والحقيقة هنا لا تتعذر فلا يتعذر أن يوسوس الشيطان للمجنون بتخيلات عدة يجعله يتخبط فيقال (تخبطه الشيطان). ولعل الذين تأولوا أساليب العرب من الكناية والمجاز كانوا يردون على من قال إن الشيطان هو الذي يصرع الشخص ويصيبه بالجنون، ولأنهم يرون أن الشيطان لا سلطان له بإصابة المرء بالجنون ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ فقالوا ما قالوه.

وقول كليهما مرجوح، والراجح ما قلناه وكما بيناه.

والغريب ما تجده في تفاسير الفريقين من تحامل على بعضهما لمخالفته رأيه في الموضوع حتى ليكاد بعضهم يخرج الآخر من الملة في الوقت الذي لا تقطع الآية برأي كليهما.

كما إني لم أطلع على حديث صحيح في تفسير الآية إلا ما روي عن رسول الله ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج وهو لا يقطع برأي أحدهما: "**فانطلق بي جبريل فمررت برجال كثير كلّ منهم بطنه مثل البيت الضخم... إلى أن يقول: فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون، ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع ... إلى أن يقول: قلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**"[1] فهي تشبه آكلي الربا الذين يصرعون لتمايل بطونهم به لثقلها بالذي يتخبطه الشيطان من المس.

وعليه فلا آية ولا حديث يقطع برأي أحدهما في تفسير الآية.

وما دام الأمر كذلك، أي لا حقيقة شرعية في تفسير الآية بقي أن نعمد إلى اللغة، فالقرآن نزل

١ أحمد: ٣٥٣/٢، ٣٦٣، مسند الحارث بن أسامة: ١٧/١، ابن ماجه: ٧٦٣/٢ رقم: ٢٢٧٣

بلغة العرب فنجد الراجح ما قلناه إن مثلهم كمثل الذي يتخبطه الشيطان من المس أي بسبب الجنون، أي أن الجنون يسبق تخبط الشيطان للشخص فيجن الشخص بسبب من الأسباب ثم يتخبطه الشيطان بوسوساته وتخيلاته.

فلم يصرع الشيطان الشخص أي لم يجعله مجنونًا وإلا لكانت الآية الكريمة (الذي يتخبطه الشيطان بالمس) والباء تفيد الإلصاق أي بالجنون أي يصيبه بالجنون، وفي الوقت نفسه لا يلجأ إلى الكناية والمجاز فيصرف معنى الشيطان عن حقيقته لأن الحقيقة لا تتعذر.

وفي جميع الحالات نقول إن هذا ما نرجحه ولا نقطع به، ومن كان لديه ترجيح أقوى حسب أبحاث اللغة وأقسام الكتاب والسنة يُـتَّبع.

وهذا المثل تصوير حسي فظيع لشدة جريمة آكلي الربا، وهذه النتيجة قائمة عند جميع المفسرين على اختلاف فهمهم للمثل المضروب.

ويغفر الله لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان على ما كتبوه عن بعضهم في تفاسيرهم والله المستعان.

﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ أي أن المثل الفظيع الذي ضرب لهم لشدة جريمتهم وهو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ هو بسبب استحلالهم للربا واعتبارهم إياه كالبيع، وفي هذا دلالة على ما يصيبهم من خزي وعذاب في الدنيا والآخرة.

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ جملة مستأنفة من الله تعالى ردًا عليهم وإنكارًا لتسويتهم بين الربا والبيع.

﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ فمن بلغه وعظ بأن الربا حرام أي من بلغه التحريم، و(من) شرطية وسقطت علامة التأنيث في (جاء) لأن تأنيث الموعظة غير حقيقي بل هي بمعنى (وعظ) فذكر الفعل لأجل ذلك.

﴿ فَٱنتَهَىٰ ﴾ عطف على ﴿ جَآءَهُۥ ﴾ واقتران الفاء به للدلالة على سرعة الاتعاظ عند بلوغه النهي بلا تراخٍ.

﴿ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ الفاء داخلة على جواب الشرط، والمراد لا يسترد منه ما تقدم أخذه واكتمل قبل التحريم، أما المعلق منه فيطبق عليه ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.

﴿ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي أمر هذا الذي انتهى فله ما سلف، أمره في مستقبله إلى الله فهو سبحانه الذي يعلم مدى التزامه بالانتهاء عن الربا.

﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ أي من عاد إلى سالف عهده يقول البيع مثل الربا أي يعود إلى استحلال الربا.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ لأنه بعودته لاستحلال الربا يكون قد كفر

وارتد عن الإسلام، والكافر يخلد في النار.

٢. ثم يبين الله سبحانه في الآية التالية عاقبة المرابي وعاقبة المتصدق، فالله لا يبارك مال الربا في الدنيا، ويعد لصاحبه عذابًا أليمًا في الآخرة.

وهو سبحانه يبارك الصدقة ويعد لصاحبها أجرًا عظيمًا في الآخرة.

ثم يختم الله الآية الكريمة بأنه سبحانه يبغض الكفار الآثمين، وفي هذا دلالة تنبيه وإيماء بأن الذين يعودون لتحليل الربا ومساواته بالبيع هم كفار آثمون.

﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ أي يذهب بركته وإن كان كثيرًا. روى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: "**إن الربا وإن كثر فعاقبته إلى قل**"[٢].

والمحق: النقص والذهاب، ومنه محاق القمر وهو انتقاصه.

﴿ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴾ ينميها في الدنيا بالبركة ويضاعف ثوابها في الآخرة. أخرج مسلم: "**إن صدقة أحدكم لتقع في يد الله فيربيها له كما يربي أحدكم فُلُوَّه أو فصيله حتى يجيء يوم القيامة وإن اللقمة على قدر أحد**"[٣].

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾ أي كل كفار باستحلال الربا، أثيم بالتمادي في أكله، وفي عصيان الله سبحانه ورسوله ﷺ. واختيار صيغة المبالغة في كفّار أثيم للدلالة على فظاعة جريمة الربا.

٣. وفي الآية الثالثة يعد الله سبحانه الذين اعتقدوا الإسلام والتزموا أحكامه الشرعية بأن لهم أجرًا عظيمًا عند الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ■

٢ ابن ماجه: ٢٢٧٠، أحمد: ٣٩٥/١، ٤٢٤

٣ البخاري: ١٣٢١، مسلم: ١٦٨٥

في اليقين بالله والتوكل عليه سبحانه وتعالى

- عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت. اللهم أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا تموت، والجن والإنس يموتون**» متفق عليه. وهذا لفظ مسلم.

- عن ابن عباس ﷺ أيضًا قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل» رواه البخاري.

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**» رواه مسلم. هذا الحديث يفسره حديث آخر للرسول ﷺ عن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا**» رواه الترمذي، وقال حديث حسن.

- عن جابر ﷺ أنه غزا مع النبي ﷺ قِبَل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معهم، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: «**إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا، قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله ثلاثًا**» ولم يعاقبه وجلس. متفق عليه.

- عن أبي عمارة البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك: وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت؛ فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيرًا**» متفق عليه.

- عن أم المؤمنين أم سلمة، واسمها هند بنت أبي أمية حذيفة المخزومية، أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَذِلَّ أو أُذَلَّ، أو أَظلمَ أو أُظلمَ ، أو أَجهلَ أو يُجهلَ عليَّ**» حديث صحيح رواه أبو داود، والترمذي .

- عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال - يعني إذا خرج من بيته: «**بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هُديت وكُفيت ووُقيت، وتنحى عنه الشيطان**». «**فيقول : - يعني الشيطان - لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقيَ**». رواه أبو داود ■

عاصم بن ثابت رضي الله عنه

«من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم بن ثابت»

سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

خرجت قريشٌ بقضّها وقضيضها وسادتها وعبيدِها إلى لقاءِ محمدِ بن عبد الله ﷺ في أحد... فقد كانت الأضغانُ تشحنُ صدورها شحنًا، والثاراتُ لقتلاها في بدرٍ تستعرُ في دِمائها استعارًا. ولم يَكفِها ذلك، وإنما أخرجت معها العقائلَ من نساء قريشٍ؛ ليحرضنَ الرِّجالَ على القتالِ، ويُضرمنَ الحمية في نفوسِ الأبطالِ، ويشدُدنَ عزائمهم كلما وَنوا أو ضعُفوا. وكان في جملةِ من خرجت معهن: هندُ بنتُ عتبة زوجُ أبي سفيان، ورَيطة بنتُ مُنبهٍ زوجُ عمرو بن العاص، وسُلافة بنتُ سعدٍ ومعها زوجها طلحة وأولادها الثلاثة: مسافعٌ، والجُلاسُ وكِلابٌ، ونساءٌ كثيراتٌ غيرهن.

ولما التقى الجمعان عند أحُدٍ وأخذتْ نارُ الحرب تستعرُ، قامت هندُ بنتُ عُتبة ومن معها من النسوة، فوقفنَ خلف الصفوفِ، وأخذنَ بأيديهن الدفوفَ، وجَعلن يضربن عليها مُنشدات:

إن تقبلوا (أي على الحرب) نعانق ونفرُش النمارق (الوسائد والمتكآت) ..

أو تدبـــروا نفارِق فِراق غير وامقْ (غير محبٍّ)

فكان نشيدُهُنَّ هذا يُضرمُ في صدور الفرسانِ الحمية، ويفعلُ في نفوس أزواجهن فعلَ السحر، ثم وضعتِ المعركة أوزارَها، وكُتبَ فيها النصرُ لقريشٍ على المسلمين، فقامت النسوة وقد استفزّتهُن حُميًا (أي أثارتهن خمرة النصر) الظفر وطفقن يَجُسن (أي يدرن عائثات فسادًا) خلالَ ساحة المعركةِ مُزغردات، وأخذن يمثلن بالقتلى أفظعَ تمثيلٍ: فبقرنَ البُطون، وسَملنَ العُيون، وصلمنَ الآذان، وجَدعنَ الأنوفَ، بل إن إحداهُن لم يشفِ غيظها إلا أن جعلت من الأنوفِ والآذان قلائد وخلاخيلَ وتزينت بها انتقامًا لأبيها وأخيها وعمِّها الذين قتلوا في بدر.

لكن سلافة بنت سعدٍ كان لها شأن أترابها (لداتها وصويحباتها) من نساء قريش، فقد كانت قلقةً مضطربةً، تنتظر أن يقبل عليها زوجها أو أحد أبنائها الثلاثة، لتقف على أخبارهم وتشارك

النسوة الأخريات فرحة النصر. بيد أنَّ انتظارها قد طال عَبثًا، فأوغلت (دخلت بعيدًا) في أرضِ المعركةِ، وجعلتْ تتفحصُ وجوهَ القتلى، فإذا بها تجدُ زوجَها صريعًا مُضرَّجًا بدمائه (مصبوغًا بدمائه). فهَبتْ كاللبُؤة (أنثى الأسد) المذعورةِ، وجعلت تطلق بصرَها في كلِّ صوبٍ بحثًا عن أولادِها: مُسافع وكلابٍ والجُلاس. فما لبثت أن رأتهُم مُمدَّدين على سُفوحِ أحد. أما مُسافع وكلابٌ؛ فكانا قد فارقا الحياة، وأما الجُلاس فوجَدته وما تزال به بقية من ذماء (بقية النفس).

أكبتْ سُلافة على ابنها الذي يعالجُ سكراتِ الموتِ، وَوضعتْ رأسه في حِجرها، وجعلت تمسحُ الدماء عن جبينهِ وفمهِ، وقد يبسَ الدمعُ في عينيها من هول الكارِثة. ثم أقبلت عليه وهي تقول: من صرَعَك يا بني؟ فهمَّ أن يجيبها لكنَّ حَشرَجَة الموتِ منعتهُ، فألحتْ عليه بالسؤال فقال: صَرعني عاصم بن ثابت، وصرع أخي مُسافِعًا، ثم لفظ آخِر أنفاسِه... جُنَّ جنونُ سلافة بنتِ سعدٍ، وجَعلت تعولُ وتنشج (ترفع صوتها بالبكاء)، وأقسَمت باللاتِ والعُزى ألا تهدأ لها لوعَة أو ترقأ (تجف) لعينيها دَمعة إلا إذا ثأرت لها قريشٌ من عاصمِ بن ثابتٍ، وأعطتها قِحفَ رأسه (عظم رأسه المجوف) لتشربَ فيه الخمر، ثم نذرَت لمن يأسِرُه أو يقتله ويأتيها برأسِه أن تعطِيه ما يشاءُ من مُنفس المال. فشاع خبرُ نَذرها في قريشٍ، وجعلَ كل فتىً من فتيان مكة يَتمنى أن لو ظفِرَ بعاصم بن ثابت، وقدَّم رأسه لسُلافة لعله يكونُ الفائز بجائزتِها.

عاد المسلمون إلى المدينةِ بعدَ أحُدٍ، وجعلوا يتذاكرون المعركة وما كان فيها، فيترحَّمون على الأبطالِ الذين استشهدوا وينوِّهون بالكماةِ الذي أبلوا وجالدوا، فذكروا فيمن ذكروهم عاصمَ بن ثابتٍ، وعجبُوا كيفَ اتفق له أنْ يُردي ثلاثة إخوةٍ من بيتٍ واحدٍ في جُملةِ من أردَاهم. فقال قائلٌ منهم: وهل في ذلك من عجب؟! أفلا تذكرون رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حين سألنا قبيلَ بدرٍ «**كيف تقاتِلون؟**» فقام له عاصمُ بن ثابتٍ، وأخذ قوسَه بيده وقال: إذا كان القومُ قريبًا مني مائة ذراعٍ كان الرَّميُ بالسهام، فإذا دَنَوا حتى تنالهُم الرماحُ كانت المداعَسة (المطاعنة بالرماح) إلى أن تتقصَّفَ الرِّماح، فإذا تقصفَتِ الرماحُ وضعناها وأخذنا السيوفَ وكانت المُجالدَة (المضاربة بالسيوف).فقال عليه الصلاة والسلام: «**هكذا الحربُ، من قاتلَ فليقاتلْ كما يُقاتلُ عاصم**».

لم يمضِ غيرُ قليلٍ على أحُدٍ حتى انتدبَ رسول الله ﷺ ستةً من كرامِ الصَّحابة لبعثٍ من بعوثِه، وأمّرَ عليهم عاصِمَ بن ثابت. فمضى النفرُ الأخيارُ لإنفاذ ما أمَرهُم به النبيُّ عليه الصلاة والسلام، وفيما هم في بعض الطريق غير بعيد عن مكة عَلمت بهم جماعة من هُذيلٍ؛ فهبُّوا نحوَهم مُسرعين، وأحاطوا بهم إحاطة القيدِ بالعُنق. فامتشق عاصمٌ ومن معهُ سُيوفهُمْ وهموا بمُنازلةِ المُطبقين عليهم. فقال لهم الهُذليون: إنكم لا قبلَ لكم بنا (لا طاقة لكم بنا ولا قدرة لكم علينا)، وإننا والله لا نريدُ بكم شرًّا إذا استسلمتم لنا، ولكم على ذلك عهدُ الله وميثاقه، فجعل

صحابة رسول الله ﷺ يَنظرُ بعضُهم إلى بعضٍ كأنهم يتشاورون فيما يصنعون... فالتفتَ عاصمٌ إلى أصحابه وقال: أما أنا فلا أنزِل في ذمةِ مُشركٍ، ثم تذكر نذرَ سُلافة الذي نذرَته، وجرَّدَ سَيفه وهو يقولُ: اللهمَّ إني أحْمَى (أدافع عن دينك) لدينكِ وأدافع عنه، فاحمِ لحْمي وعظمي ولا تظفرْ بهما أحدًا من أعداءِ الله. ثم كرَّ على الهُذليين، وتبعهُ اثنان من أصحابهِ، وظلوا يقاتلون حتى صُرِعوا واحدًا بعد آخر. أما بقية أصحابهِ فاستسلموا لآسريهم، فما لبثوا أن غدروا بهم شرَّ غدرَة. لم يكن الهُذليون في بادئ الأمرِ يعلمون أنّ عاصمَ بن ثابتٍ هو أحدُ قتلاهم، فلما عَرفوا ذلك فرِحوا به أشدَّ الفرح، ومَنوا أنفسهم بجزيل العطاءِ. ولا غروَ، ألم تكن سلافة بنتُ سعدٍ قد نذرَت إن هي ظفِرت بعاصمِ بن ثابتٍ أن تشربَ في قحفِ رأسه الخمر؟. ألم تكن قد جعلت لمن يأتيها به حيًا أو ميتًا ما يشاءُ من المال؟.

لم يمضِ على مصرع عاصِمِ بن ثابتٍ بضعُ ساعاتٍ حتى علمت قريش بِمقتلِه، فقد كانت هُذيلٌ تقيم قريبًا من مكة. فأرسلَ زعماءُ قريشٍ رسولًا من عندهم إلى قتلةِ عاصمٍ يطلبون منهم رأسَه؛ ليُطفئوا غلة سُلافة بنتِ سعدٍ ويُبرّوا قسمها، ويُخففوا بعضَ أحزانِها على أولادها الثلاثة الذين صَرعهم عاصمٌ بيده، وحَملوا الرسولَ مالًا وفيرًا، وأمَروه أن يَبذله للهُذليين بسخاءٍ لقاءَ رأسِ عاصمٍ.

قام الهُذليون إلى جَسدِ عاصمِ بن ثابتٍ ليفصلوا عنه رأسه؛ ففوجئوا بأسرَاب النحلِ وجماعاتِ الزنابير (حشرة كالنحل غير أنها لا تنتج العسل) قد حَطت عليه، وأحاطت به من كلِّ جانبٍ، فكانوا كلما راموا (أرادوا) الاقتراب من جُثتهِ طارت في وجوههم، ولدغتهُم في عيونهم وجِباههِم وكل موضعٍ في أجسادهم، وذادتهم عنه (دفعتهم عنه) ... فلما يَئسوا من الوصولِ إليه بعد أن حاولوا ذلك الكرَّة تِلوَ الكرَّة؛ قال بعضُهم لبعض: دَعوه حتى يجِنَّ عليه الليلُ (يطبق عليه الليل) فإنَّ الزنابير إذا حلَّ الظلامُ؛ جلت عنه وخلته لكم، ثم جلسوا ينتظرون غيرَ بعيد؛ لكِنه ما كاد ينصرمُ النهار (يمضي وينقطع) ويقبلُ الليلُ حتى تلبدَت السماءُ بالغيوم الكثيفة الدّكن (الغيوم السود)، وأرعَد الجوُّ وأزبدَ، وانهمَر المطرُ انهمارًا لم يشهد له المُعمَّرون مثيلًا منذ وُجدوا على تلك الأرض، وسرعان ما سالتِ الشعابُ وامتلأتِ البطاحُ وغُمِرتِ الأوديَة، واكتسحَ المِنطقة سيلٌ كسيلِ العرم، فلما انبلجَ الصبحُ قامت هُذيلٌ تبحث عن جَسدِ عاصمٍ في كل مكان؛ فلم تقف له على أثر؛ ذلك أنَّ السيلَ أخذه بعيدًا بعيدًا، ومضى به إلى حيث لا يعلمون.

فلقد استجاب الله عز وجل دَعوة عاصمِ بن ثابتٍ فحمى جسدَه الطاهِرَ من أن يُمثلَ به (العبث بجسده وتقطيعه) وصان رأسَه الكريمة من أن يُشربَ في قِحفها الخمرُ... ولم يجعَل للمُشركين عليه سبيلًا. ■

التايمز: على أوروبا دعم الربيع العربي ٢ قبل أن يدخل في دوامة القمع ويدفع بملايين المهاجرين

خصصت صحيفة التايمز افتتاحية لها للمظاهرات في العالم العربي أو (الربيع العربي رقم ٢)، قائلة إن الشباب في منطقة الشرق الأوسط وجد نفسه وسط موجة مدمرة من الاحتجاجات والقمع، وعلى الغرب دعم قضية إصلاح الدول الفاسدة. وأشارت الصحيفة إلى أن العالم العربي يمر في هزة أرضية شبابية؛ فنسبة ٦٠٪ من سكانه هم شباب تحت سن الثلاثين، وهم ممتلئون بالإحباط من **فساد الحكم، والتدخل الأجنبي الخبيث، وسيطرة الجيش على حياتهم.** وهي نفس العوامل التي أدت إلى الثورات قبل عشرة أعوام تقريبًا، واليوم عاد المتظاهرون مرة أخرى «بحكمة ولكن أكثر غضبًا». وحدثت التظاهرات في الدول التي كانت على حافة اندلاع الثورة الأولى ولكنها لم تشترك في التظاهرات، حدثت اليوم في العراق والجزائر ولبنان والسودان. وفي لبنان والعراق تحديدًا تمثل الانتفاضات تحديًا فيهما لأنها تقف ضد التأثير الإيراني على النظام السياسي فيهما. ولا تستطيع طهران التي شهدت تظاهرات في أنحاء متفرقة من البلاد الوقوف متفرجة على خسارة تأثيرها في الدول العربية. وهناك من يراهن على استخدام إيران القوة في العام المقبل ضد الدول التي تعتبرها وكيلة لها. وهو ما يعني قرع طبول الحرب في كل الشرق الأوسط. وتعلق الصحيفة أن الربيع العربي ٢ يمثل تهديدًا للخارج، مشيرة إلى أن استخدام العنف ضد المشاركين فيها وهم من النخب المتعلمة الحرفية والجيل الشاب سيدفعهم إلى عدم إيجاد مفر إلا ركوب القوارب والهرب إلى الدول الأوروبية.

ولا يوجد ما يدعو إلى نهاية مختلفة للربيع العربي ٢؛ ولكن الغرب لا يمكنه التخلي عن قضية الإصلاح، ليس من أجل حماية النفس؛ لأن الفوضى في شمال أفريقيا تعني انتقال ذلك إليها في أوروبا، بل لمنع تدهور قضية الديمقراطية كما حدث خلال السنوات الخمس الماضية. وتقول «التايمز» إن هناك قصص نجاح قليلة في العالم العربي... وما يهم هو شعور المواطنين العرب أنهم محترمون من حكوماتهم وأن الحكومة لا تلجأ إلى سياسة اليد الحديدية لقمع الرأي العام والنقاش الحر، وأن تستجيب الحكومات لمطالبهم من خلال المبادرة للإصلاح وتثق بهم. وتذكر الصحيفة أن الغرب قام بدوره أو بدور في أوروبا الشرقية بعد سقوط الشيوعية. ويمكن عمل هذا في الشرق الأوسط، المنطقة الاستراتيجية التي قد تدخل مرة أخرى في الاحتجاجات والقمع.

الوعي: إن هذه الافتتاحية تذكر صراحة أن «فساد الحكم والتدخل الأجنبي الخبيث وسيطرة الجيش على حياتهم» هو وراء وجود الإحباط لدى الشباب الذين يشكلون ٦٠٪ من سكان المنطقة. ولو أردنا أن نحدد أكثر نقول إن الغرب هو استعماري متغوِّل، هو وراء فساد الحكام وسيطرة الجيوش، وهو وراء الديون الخارجية التي تعد بمئات المليارات، فهذه سياسة دولية ثابتة له، والحكام العملاء له ينفذون أجنداته الاستعمارية في إفقار الشعوب وإثقالها بالديون، والجيوش تحميهم... حتى عندما قمع الحكام الموجة الأولى من الثورات فبأمر منه؛ ولأنه فشل في إنهائها بالقمع يطرح فكرة الإصلاح والاستجابة لمطالب الناس. أيها المسلمون لا تطلبوا الحل من الغرب، فهو الثعبان الذي يقدم سمه كترياق. لا حل إلا من عند الله، ويبدأ بإقامة دولة الخلافة.

أردوغان يفرِّغ سوريا، مرة أخرى، من مقاتلين من «الجيش الوطني» بإرسالهم كمرتزقة إلى ليبيا

أعلنت تركيا بشكل رسمي نيتها إرسال قوات إلى ليبيا للقتال إلى جانب القوات التابعة لـ «حكومة الوفاق» الليبية ضد قوات اللواء خليفة حفتر، وبدوره أبدى المبعوث التركي إلى ليبيا أمر الله إيشلر، استعداد بلاده لبناء قاعدة عسكرية في ليبيا إذا تقدمت طرابلس بطلب بهذا الشأن، على غرار القاعدتين التركيتين في الصومال وقطر. ويقف وراء التدخل التركي هذا أن ليبيا بلد نفطي ويتاخم طرق تجارية هامة في البحر المتوسط، كما يقول أويتون أورهان من مركز الدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط. إلى ذلك يجب ذكر أن تركيا بدأت مؤخرًا في التنقيب عن النفط والغاز في المنطقة الشرقية من البحر المتوسط قبالة قبرص، أي في الشطر الذي تسيطر عليه "جمهورية شمال قبرص التركية" التي لا تعترف بها سوى أنقرة، وهو ما يثير اعتراضًا دوليًا عليها. ثم إن هذا الإعلان من أردوغان للتدخل في ليبيا جاء بعد اجتماع لـ«منتدى غاز شرق المتوسط» الذي يضم كلًا من اليونان وقبرص وإيطاليا ومصر والأردن و(إسرائيل) وفلسطين، ولا يضم تركيا، وهذا اعتبره أردوغان مؤامرة إقليمية تعمل على عزل تركيا في المنطقة وهذا ما أضاف إلى المنطقة عامل نزاع جديد، وفي هذا النزاع على النفط والغاز تحتاج تركيا إلى حلفاء في جانبها، وحكومة طرابلس بين من يضمن الولاء لأنقرة. إذًا الصراع سياسي تجاري.

هذا الإعلان التركي بإرسال قوات تركية إلى ليبيا واكبته معلومات عن إرسال مقاتلين من «الجيش الوطني» التابع لها برعاية الجيش التركي ليكونوا قوات رديفة له في مهماته القتالية هناك. وعن العرض التركي للمقاتلين ذكر أنه من المفترض أن يحصل مقاتلو «الجيش الوطني» على أجر شهري مقابل مهامهم القتالية في ليبيا يصل إلى ٢٠٠٠ دولار أميركي للمجندين، وحوالى ٢٥٠٠ للمختصين بأنواع محددة من العتاد الحربي والأسلحة الثقيلة. والمعلومات تفيد بأن مئات العناصر من فصائل المعارضة السورية الموالية لتركيا توجهوا منها إلى الأراضي الليبية.

الوعي: إن إعلان أردوغان هذا داخل في لعبة المصالح المادية والصراع عليها، وهو لا يختلف فيها عن سائر حكام المسلمين العملاء للغرب. وهو لا يقيم وزنًا للإسلام في كل قراراته السياسية، وتاريخه السياسي يشهد له بذلك؛ فهو كان إلى جانب القوات الأميركية في غزوها لأفغانستان من ضمن القوات المتعددة الجنسيات (إيساف) والتي تسببت بقتل المسلمين هناك واحتلال بلادهم، وهو وضع قاعدة إنجرلك الجوية العسكرية تحت تصرف أميركا في عدوانها على المسلمين في العراق من قبل، والتي تسببت بقتل المسلمين هناك واحتلال بلادهم. وهو قام وما زال يقوم بأخطر دور أميركي له في ضرب الثورة في سوريا وجعلها في حالة انكسار (سلم حلب بعد أن فرغها من المقاتلين التابعين له ليقوم بعملية (درع الفرات). ومثلها عملية (غصن الزيتون)... وها هو الآن يريد أن يفرغ سوريا من المقاتلين، ويحولهم إلى مقاتلين بأجر (مرتزقة) لخدمة مصالح بلاده الوطنية... على غرار مرتزقة شركة بلاك ووتر الأميركية وفاغنر الروسية؛ خاصة وأنه تم الحديث عن أن التطوع يجري عبر شركة أمنية... إن أردوغان هذا بات مكشوفًا، والمشكلة هي في أن من يسير معه ويحبه هو الأعمى، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾.